الجِواهرِ الحِسانِ

في الصّحةِ النفسيّةِ للوِلدانِ

أحمد أمين بوعلام الله

"قراءة في كتابِ الصّحة النّفسيّة للطّفل

للأستاذ الدكتور عبد الباري محمد داود"

الطبعة الأولى

ردمك: 978-9931-804-95 -6

عنوان العمل: الجواهرُ الحِسان في الصحة النفسية للولدان

المؤلّف (ة): أحمد أمين بوعلام الله

تصميم الغلاف: أحمد ساخر

المدققة: هاجر غضبان

تصفيف الصفحات: إيمان عبد الحكيم

المدير(ة) العام (ة): رحمة مشطر

الناشر: دار الأنير للنشر والتوزيع

العنوان: تاسوست / جيجل / الجزائر

صفحة الدار على الفيسبوك:

www.facebook.com/elanir.editions

البريد الإلكتروني: elaniredition@gmail.com

الهاتف: 0541401390/0674927728

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص والنسخ أو التعديل إلا بإذن من الناشر.

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركا فيه، يليق بعظمته تعالى، والصلاة والسّلام على نبيّنا محمّد النبي العربي الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، وبعد فقد ثبت للأمة الإسلامية –خلال تاريخها الطّويل- أنّها تحتاج دائما وأبدا إلى الرّجوع إلى قرآنها المجيد وسنّة نبيّها الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلم، باعتبارهما المنبع الصّافي، والمنهل العذب، والنّور الذي تسترشد به في تسيير أمور حياتها كلّها وخصوصا تلك الأمور التي تتصل بتربيتها وتعليمها وتزكيتها للنّفس البشريّة، وتكوين شخصيّة الإنسان الصّالح المستخلَف بما يتوافق وفطرته البشريّة، والمعرفة الصّحيحة به مستمدة من كتاب الله، لأنّه الخالق والمُوجد والمكوّن له، وهو سبحانه أعلم بما يُصلحِه، يهبه القوّة والقدرة لتعمير الأرض وفق منهجه وشرعه، ليكون الكونُ كلُّه قانتا لله جلّ جلاله، فتتحقق العبودية المطلقة لله تعالى.

لقد حَظِيت مرحلةُ الطُّفولة واحتياجاتها المتنامية في العقود الأخيرة باهتمام كبيرٍ من قِبَل كلّ المَعنيّين بشؤون الطفل والقائمين على تربيته؛ من علماء نفس وآباء ومربّين، وأُدباء وغيرهم، وبشكل خاص احتياجاته النفسيَّة التي تتمركز أهمها في:

احتياجه إلى الحب والعطف والحنان، والأمن والطمأنينة والانتماء، وإلى الجو الأُسري المُفعم بالدِّفء، والمودَّة والرَّأفة، القائم على التفاهُم والثِّقة

والاحترام، ولا سِيَّما في مراحل الطفولة الأولى، باعتبار هذه الاحتياجات تَضمن للطفل جانبًا مهمًّا من الاستقرار العاطفي والنمو الانفعالي السليم، وتُعزِّز لَدَيه الشعور بالأمان والثقة بالذات، كما أنَّ الطفل يحتاج إلى إشباع احتياجاتٍ عدَّة أخرى؛ كالحاجة إلى ممارسة الاستقلال الشخصي، وإلى اكتساب بعض المهارات العقليَّة والحركيَّة والاجتماعيَّة الأساسية، وبعض المعايير الأخلاقيَّة المهمَّة في المجتمع.

ولقد كان اختياري لهذا الكتاب كون الصّحة النّفسية من أهم وأكثر المواضيع التي أصبحت تحظى باهتمام العلماء والباحثين، نظرًا للحاجة الملحّة التي نتجت عن تعقّد حياة المجتمعات، والتطوّر الحضاري الذي يشهده العالم من مختلِف الجوانب العلميّة والتكنولوجيّة والاقتصاديّة والصّناعيّة، فضلًا عن الحروب المختلفة والتهديدات الأمنيّة وما ترتّب عنه من مشكلات نفسيّة من قَبيل شعور الإنسان بعدم الأمن والاغتراب وسوء التّوافق، وصعوبة مواكبة سرعة هذا التطوّر الهائل، وأبلغ دليل يعبّر بحق عن هذه الحاجة الملحّة للرّعاية: انتشار المصحّات النّفسيّة ومصالح طب الأمراض العقليّة والمراكز المتخصّصة في تقديم الخدمة النّفسية حسب طبيعة المشكلة أو الإعاقة في المجتمعات المعاصرة، ناهيك عن كون الصّحة النّفسية أصبحت تخصّصًا قائما بحدّ ذاته يُدَرّس في الجامعات لا سِيّما على مستوى الدراسات العليا.

ثم إنه من البديهي لأي مجتمع يسعى لمواكبة التقدم؛ أن يتجه للعناية بالموارد البشرية التي تتمثّل في إمكانات وخبرات أفراده وصحتهم النّفسية،

وخاصّة الأطفال والمراهقين لأنهم رجال الغد، تماما كما يقول فرانسواز دولتو: «**يجب أن نحترمَ في الطّفل امرأة ورجل المستقبل**» وبالتّالي فإنّ صلاح مستقبل المجتمع يتوقف على صلاح أطفاله الذي لا يمكن أن يتحقّق إلّا من خلال الوعي بضرورة توفير الرعاية التربوية والنفسية، على أنّ التمتع بالصحة النفسية في سِنّ الرُّشد يتوقف إلى حدٍّ بعيد على الطفولة التي يجب تجاوز مختلِف مراحلها بنجاح؛ من خلال تلبيّة متطلّبات نمو كل مرحلة بشكل صحيح ومتوازن، بعيدا عن الغلو في الإشباع أو الحرمان وإتباع أساليب التربية والتنشئة الاجتماعيّة الصّحيحة ومساعدة الطّفل على حلّ الصّراعات ومواجهة الخبرات المؤلمة وتجاوزها، والتحليل النّفسي الكلاسيكي يعتبر أنّ جذور أيّ مرض نفسي في سن الرشد يتعلق بشكل مباشر بالطفولة؛ ومن هنا أُقحمت الأسرة في العناية البالغة بالطفل؛ لأن الأسرة المتماسكة ستتيح لأبنائها فرصة اكتساب القدرة على مواجهة الحياة، أمّا الأسرة المفككة فإنها لا ريب سوف تنهار أمام الأزمات وتجعل أبناءها عرضة إمّا للاضطرابات النفسية، أو الجنوح إلى الجريمة.

إنّ صاحب الكتاب أعني -**عبد الباري محمد داود**- اعتمد منهج القرآن لإيمانه أنّ من يرد الوِجاء والوقاية والحماية والحصانة فعليه بالقرآن، فقد تطرق إلى مواضيع بالغة الأهميّة كالغاية من خلق الإنسان فهمًا وتطبيقًا، وبداية الخلق والتّشريع الإلهي ومدى إسهامه في تحقيق الرّاحة والطّمأنينة والخير في الدّنيا والآخرة، ثم رؤية شمولية لخلق الإنسان وتطوّره ونموه في إطار التصوّر الإسلامي للخلق والنّمو، ولمس بعض الجوانب التي ينبغي

الاهتمام بها من النمو الخلقي والدّيني والاجتماعي والنفسي لأطفالنا، وكذا تحقيق بعض من جوانب المنهج الإسلامي استنادًا لآراء نفسيّة إسلامية تتصل بعلم نفس النمو لأبي الفرج جمال الدّين بن الجوزي إمامِ الوعظ والفقه والتربيّة، بأسلوب سهل ميسور يمكن فهمه واستيعابه حتى من غير المنتمين للمجال، ومن هنا يتبع الخطّة التالية في كتابه:

الفصل الأول: عنوانه: "عقيدة الإيمان والوِجاء النّفسي": باعتبار الوِجاء التحصينَ والوقاية من الآفات والرّذائل.

الفصل الثّاني: تناول فيه النّماء الإنساني وشرح فيه مراحل تطوّر ونمو الإنسان منذ بداية الخلق كما جاءت في القرآن.

الفصل الثّالث: تعرض فيه لمرحلة الطّفولة والصّحة النّفسيّة والحديث عن الفطرة والحاجات والدّوافع وعلاج بعض الاضطرابات كالحسد والغيرة والشّعور بالنّقص وضعف الثّقة بالنّفس.

الفصل الرّابع: تناول فيه الأمن النّفسي للطّفل من خلال رعاية الوالدين والأسرة والمدرسة لنفسيّة الطّفل وتكوين شخصيته.

الفصل الخامس: أشار إشارةً موجزةً إلى الصّحة النفسيّة في علاقتها بشموليّة التربية سواء كانت اجتماعيّة أو نفسيّة أو خُلقية كما جاءت في كتاب الله تعالى، ثم ذيّل البحث بقائمة من المراجع بعد الكلمة الختاميّة والفهارس التي تُسهّل البحث على القارئ.

تمهيد:

يعتبر مجال الصّحة النّفسية من أكثر مجالات علم النفس أهمية لدى المهتمين والمختصين في كافة العلوم الإنسانية، حيث إن صحة الإنسان النفسية لا تقل أهمية عن صحته الجسدية والعقلية، ويزداد الاهتمام إذا كان الحديث عن الصّحة النّفسيّة لدى الأطفال الذين ما زالوا في مرحلة البناء والتكوين وبلورة الشّخصيّة. مما يزيد الاهتمام بالصّحة النّفسيّة ما تعيشه الشّعوب في مختلف أقطار الأرض من ضغوط نفسيّة ومشكلات سلوكية متعدّدة ناتجة عن ظروف الحياة الضاغطة بسبب الحروب والأوضاع الاقتصاديّة، والأوضاع الاجتماعيّة الصّعبة، والظروف السياسية المتغيّرة والمؤثرة، مما خلّف العديد من المشكلات والاضطرابات النفسية والسلوكية، فزادت البطالة وانتشرت وقلّ مستوى الدّخل وتفشّى الفقر والمرض، وتسبّب ذلك في زيادة مستوى الخوف والقلق والتوتر لدى الأطفال، الذين هم بحاجة ماسّة إلى الرّعاية والأمن النّفسي والأمن الغذائي والدوائي، كما أنهم بحاجة أيضا إلى الحرية واللعب والتمتع واكتساب الخبرات في أجواء تربوية نفسيّة مناسبة؛ من هنا تنبع ضرورة الاهتمام بصحة الطفل النفسية وكذلك تقديم الخبرات والمعلومات التي من شأنها أن تحافظ على مستوى مناسب من الصحة النفسية لديهم، وكما أنها مهمة بالنسبة للفرد فهي مهمة للمجتمع بنفس الدرجة وانطلاقا من هذا الفهم قام الدكتور عبد الباري محمد داود بوضع هذا الكتاب بين يدي القارئ.

الدواعي التي جعلت الكاتب يكتب هذا الكتاب:[1]

1. الإسلام يستهدف النّفس الصّافية النّاصعة البياض البعيدة عن الحقد والغلّ، والرّوح المطمئنّة والوجدان السوي والشّعور بالرّضا والفرح والسّعادة والثّقة بالنّفس واحترامها في طاعة ربّها.

2. الإسلام يأمر بالتّحلّي بالفضائل الخلقية كالقناعة والزّهد والتّقوى والورع والإحسان وغير ذلك من السّمات النّفسيّة الحميدة كالتعاون والإيثار والأخوة وحبّ الآخرين ومساعدتهم لا سِيّما إن كان ذلك يقرّب إلى الله ربّ العالمين ومن العبادة التي خُلق من أجلها.

3. لا يمكن كبح جِماح النفس وضبطها واستقامتها وتزكيتها إلا بعون الرحمن وإرشاد الوالدين والتّذكير بالقرآن.

4. تميل النّفس إلى ما فيه الضرر وتزيّن له الخطر، فلا بدّ من الوقاية والوِجاء والتحصين حتى لا يقع المرء فريسةً للنفس الأمّارة بالسوء فيقع في براثن الأمراض والاضطرابات النّفسيّة التي يصعب الشفاء منها.

5. الطّفل في رعاية الإسلام يجد ما يكفل له صحة نفسية سوية وسليمة، فالطفل في بداياته يحتاج إلى صقل وتربية وحصانة ولا يصلح له ذلك إلا باعتماد منهج القرآن وسيرة النبي العدنان.

---

(1): ينظر، الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2004م، ص(مقدّمة).

6. نُدرة المؤلّفات في مجال الصّحة النّفسية للطّفل لا سِيّما التي تتبنى آراء العلماء الأقدمين كابن الجوزي والاستفادة من آرائه التربوية وتوجيهاته الصحية والوقائية.

7. ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس وانتشر الانحلال بسبب ما نحن عليه اليوم من التغريب والتقليد الأعمى لغير المسلمين، لأننا أخذنا الخبيث ولم نقبس من الطيبات إلا القليل.

8. الحثّ على معرفة قدر العمر وأن ينظر الإنسان في حاله، فيغتنم ما يفوت استدراكه وربما جعل بتضييقه هلاكه.

أمّا من حيث ما اعتمده من مصادر ومراجع فأصحابها من أئمة علم النفس والتربية قديما وحديثا، وأبلغ كتاب اعتمده الدكتور عبد الباري محمد داود كتاب ابن الجوزي في رسالة لطيفة تسمى تنبيه النائم الغمر إلى مراحل العمر، ولفتة الكبد إلى نصيحة الولد، وابن القيم وابن عطاء الله السكندري وأكرم بهم من مصادر، ولا يختلف اثنان في اليد الطولى لابن الجوزي في المجال وأما علماء العصر الحديث فأبرزهم في المجال الدكتور محمد عثمان نجاتي وحامد عبد السلام زهران وغيرهم من خيرة من ينتمون لنفس المجال وهم أحقّ به وأهله وقيمة الكتاب العلميّة لا ريب أنها من قيمة مورده وينبوعه كما أن الدكتور عبد الباري له صولات وجولات في هذا المجال وهو يُعنى دائما بتربية الأبناء على أسس إسلامية وتصورات علمية دينية.[2]

(2): المرجع نفسه، الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، ص: (المصادر والمراجع).

إن الباحث المتتبع لنشأة الصحة النفسيّة وتطورها يجد أن موضوعات هذا العلم قديمة قدم الإنسان، فالقرآن الكريم يخبرنا أن آدم عليه السلام نشأ في صحة جسمية ونفسية سليمة، فقد خلقه الله في أحسن تقويم ووفّر له شروط الأمن والطمأنينة، فأكرمه ونعمه وأسجد له الملائكة وعلّمه ما لم يكن يعلم، وجعله خليفة الله في الأرض، ثمّ تفاعل آدم وحوّاء مع إبليس وتجاوبا مع إغراءاته الشريرة وهما يحسنان الظنّ به وأكلا من الشّجرة ونتج عن هذا الفعل أمور يجهلانها ولا يعرفان كيف يتوافقان معها، شعرا بالذنب وعجزا عن مواجهة الموقف الجديد فتغيرت حالتهما النّفسيّة الصّحية (الشعور بالأمن والطمأنينة ورغد العيش) إلى وهن الصّحة النّفسيّة (الشعور بالذنب والقلق والتوتّر)، ثمّ عالج الله سبحانه وتعالى ما أصاب آدم وحوّاء من وهن في صحتهما النّفسية بالتوبة عليهما والعفو عنهما، ومن ثمّ بَيّن طريق الهدى لذرّيته من بعده.[3]

- **الاهتمام بالصحة النفسية قديما:**[4]

لقد وُجد الإنسان المضطرب نفسيا وعقليا منذ العصور القديمة قدم الإنسانية، ومرّ تطوّر الصحة النفسيّة والعلاج النفسي بتاريخٍ طويل.

بإلقاء نظرة تاريخيّة حول هذا الأمر نجد أنّ الحضارات القديمة اهتمّت بعلاج الاضطرابات العقلية وذلك بشكل يتناسب مع طبيعة التفسيرات التي كانت سائدة في عهد الفراعنة والإغريق والصينيين، حيث تُمثّل التفسيرات

(3): ينظر، الدكتور هشام أحمد غراب، الصحة النّفسية للطّفل، دار الكتب العلميّة، ص: 27.

(4): ينظر، المرجع نفسه، الدكتور هشام أحمد غراب، الصحة النّفسية للطّفل، ص: 28.

للأمراض النّفسيّة والعقلية على أساس أنّها ناتجة عن حلول الأرواح في أبدان المرضى، بعضها أرواح طيّبة مقدّسة فعاملوها معاملة طيبة منها التقديس والتعظيم، وبعضها الآخر أرواح شريرة تعمل ما يغضب الله، وكانت مهمة العلاج طرد الشر باستخدام السّحر والتعويذات، أمّا عند الإغريق ظهر هيبو قراط الذي أرجع الأمراض العقلية إلى خلل في الدماغ، ثم أفلاطون اقترح المعاملة الحسنة والرعاية للمريض كحل لعلاجه، أمّا في العصور الوسطى فقد ازدهر علم الصّحة النّفسية في البلاد الإسلامية، فاهتمّ علماء المسلمين بموضوعات الصّحة النفسية وعالجوها بوحي من روح الإسلام الذي يحثّ على احترام كيان المسلم ويرفض إزهاقها بلا حقّ أو إلحاق الأذى الجسدي أو النّفسي بالمسلم وشهد المسلمون بناء البيمارستان (دور المرضى) مثل بيمارستان هارون الرّشيد والبرامكة والبيمارستان المنصوري.

ومن الذين برزوا في مجال الصحة النفسية ابن سينا **(980-1037م)** الذي وصف في كتابه القانون في الطب حالات الهستيريا والصرع والهوس والاكتئاب،كما عالج الرازي الكثير من الأمراض النفسيّة.

ومن الملاحظ أنّ العلماء والفلاسفة المسلمين كتبوا من الكتب التي تتناول قضايا الصّحة النّفسيّة التي أخذت المنحى الوقائي بالتأكيد على التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمسجد، وبشرح أمراض النّفوس وعلاماتها وطرق العلاج والوقاية منها وتعتبر هذه الكتب مرجعا للصحة النّفسيّة بلغة علم النّفس الحديث.

أمّا حديثا:

تمثل هذه المرحلة ثورة في ميدان الصّحة النّفسية بنشأة علم الصّحة النّفسيّة، كعلم يقوم في دراساته على اتباع الطريقة العلمية من جهة، وفي تحوّل النّظرة إلى هذا العلم من النّظرة العلاجية للمضطربين عقليا ونفسيا إلى الاهتمام بالصحة العامة، والوقاية من الانحرافات، تنمية الشخصية السوية، وتخفيف الضغوط والأزمات النّفسية والاجتماعية وتوفير ظروف العمل والإنتاج والإبداع، وفي هذه المرحلة اكتملت أهداف علم الصحة النفسية الوقائية والإنمائية إضافة إلى العلاجية، كما زاد الاهتمام بهذا العلم، وتكوّنت جمعيات الصحة النفسية في الولايات المتحدة وأوروبا بعد الحرب العالمية الأولى، وعقدت مؤتمرات للصحة النفسية في العالم، وأنشأت منظمة الصحة العالمية قسما للصحة النفسية سنة **1949**.[5]

(5): ينظر، المرجع نفسه، الدكتور هشام أحمد غراب، الصحة النّفسية للطّفل، ص: 30.

الفصل الأول

عقيدة الإيمان والوجاء النفسي

***

➢ مناقشة الإشكال المطروح:

إنّ القرآن الكريم كتاب دين وهداية، أنزله الله سبحانه وتعالى على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) للناس كافة، يخاطب فيه عقل الإنسان ووجدانه، ويعلمه عقيدة التوحيد، ويزكيه بالعبادات، ويهديه إلى ما فيه خير له وصلاح في حياته الفردية والاجتماعية، ويرشده إلى الطريق الأمثل لتحقيق ذاته، ونمو شخصيته، وترقي نفسه في مدارج الكمال الإنساني حتى يستطيع أن يحقق لنفسه السعادة في الدنيا والآخرة، كما حثّ القرآن الكريم الإنسان على التفكّر والنظر في ملكوت السماوات والأرض وفي نفسه خاصة ليرى عجيب خلقه، ودقة تكوينه، وهو بذلك يدفع الناس إلى دراسة تكوينهم البدني، وإلى البحث في علوم الطب والفسيولوجيا والتشريح، وإلى دراسة النفس ومعرفة أسرارها وإن معرفة الإنسان لنفسه سبب في معرفة اللّه تعالى، وقد تضمن القرآن الكريم كثيرا من الآيات التي تعرّضت لطبيعة تكوين الإنسان ووصفت أحوال النفس المختلفة، وبينت أسباب انحرافها ومرضها، وطرق تهذيبها وعلاجها وذلك أمر طبيعي في كتاب أنزله الله تعالى لهداية الإنسان وتوجيهه وتربيته وتعليمه وكانت هذه الآيات الواردة عن النفس بمثابة المعالم التي يسترشد بها الإنسان في فهم نفسه وخصالها المختلفة، وفي

توجيهه إلى الطريق السليم في تهذيبها وتربيتها، ومن الممكن أن نسترشد بما ورد في القرآن الكريم من حقائق عن الإنسان، وعن الدوافع الأساسية التي تحرك سلوكه، وعن العوامل الرئيسة لتوافق شخصيته وتكاملها ولتحقيق صحته النفسية، مما يكون من شأنه أن يمهد الطريق لقيام (علم للنفس) تتفق نتائجه وحقائقه مع الحقائق الصحيحة عن الإنسان التي نستمدّها من كلام الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان، وهو الأعلم بطبيعته وأسرار تكوينه.

إن علماءَ النفس المحدثين، بتبيينهم مناهج البحث في العلوم الطبيعية، قد حصروا أنفسَهم في دراسة الظواهر النّفسيّة التي يمكن فقط ملاحظتها ودراستها دراسةً موضوعيّةً، وتجنبوا البحث في كثير من الظواهر النّفسيّة الهامّة التي يصعب إخضاعها للملاحظة أو البحث التجريبي وبذلك أبعدوا النّفس ذاتها من دراساتهم، لأن النفس شيء لا يمكن ملاحظته، وقصروا دراساتهم على السّلوك الذي يمكن ملاحظته وقياسه، وقد نادى بعضهم بتغيير اسم (علم النّفس) وتسميته (علم السّلوك)، لأنّ علم النّفس الحديث يدرس السلوك ولا يدرس النّفس وكان من نتيجة هذا الاتجاه في تطبيق مناهج العلوم الطبيعية في بحوث علم النفس أن سادت في دراساته وجهة النظر المادية التي ترجع جميع الظواهر النفسية إلى العمليات الفيسيولوجية، والتي تنظر إلى الإنسان كنظرتهم إلى الحيوان، بل إنهم جعلوا من دراستهم لسلوك الحيوان المدخل الطبيعي لفهم سلوك الإنسان مغفلين في كثير من الأحيان الاختلاف الكبير في طبيعة تكوين الإنسان الذي يتميز عن

الحيوان بالروح، وهو أمر يغفلونه في دراستهم إغفالا يكاد يكون تامّاً[6] ومن هنا كان لا بد من طرح الإشكال التالي:

إلى أي مدى ساهم الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية للطفل في تبيان الأسس والمؤشّرات التي تقوم عليها الصحة النفسية للطفل في ظلّ التربية الإسلامية؟

ولبلوغ القصد من خلال هذا الطرح تندرج مجموعة من الأسئلة ينبغي الإجابة عنها من خلال الفصول المختلفة للكتاب:

1) كيف يرى ابن الجوزي مراحل نمو الإنسان واغتنامها والاستفادة منها؟

2) ما مدى موافقة آراء ابن الجوزي ومبادئه التربوية القرآن والسنة باعتبارهما المصدرين الأساسين للتربية الإسلامية؟

3) ما مدى اتفاق آراء ابن الجوزي واختلافها مع الاتجاهات النفسية المعاصرة؟

4) ما مدى توافر فكر تربوي متكامل يشتمل على الصحة النفسية من خلال مؤلفه المعتمد في الكتاب المدروس؟

5) ما مدى الاستفادة من تراث ابن الجوزي في تكوين الشخصية السوية للطفل؟

---

(6): ينظر، الدكتور محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، الطبعة السابعة، 1421 هـ، 2001م، دار الشروق، ص: 23،24.

6) ما مدى تأثير الأسرة والمدرسة والمجتمع في توفير الأمن النفسي والاجتماعي والخلقي للطفل وتكوين شخصيته من خلال التربية القرآنية الروحية؟

ولا شك أننا في حاجة إلى مزيد من الاهتمام بدراسة تراثنا الإسلامي، مبتدئين بالقرآن الكريم والحديث الشريف، ثم متتبعين تطور التفكير في الدراسات النفسية لدى الفلاسفة والمفكرين المسلمين بهدف معرفة المفاهيم النفسية الإسلامية فهمًا صحيحًا يكون هاديا لنا في دراساتنا النفسية وعونا لنا في تكوين نظرياتنا الخاصّة عن الشخصية الإنسانية بحيث نجمع بين دقة البحث العلمي الأصيل والحقائق التي وردت في القرآن الكريم عن الإنسان، وهي حقائق يقينية لأنها صدرت عن الله تعالى خالق الإنسان.[7]

- **مراحل نمو الإنسان عند ابن الجوزي (جمال الدّين القرشي):**

صدر الدكتور عبد الباري محمّد داود كتابه المسمّى**"الصّحة النّفسيّة للطّفل"** باقتباس لمقدمة وردت في كتاب **"تنبيه النّائم الغمر على مواسم العمر"**للشيخ الإمام الحافظ شيخ الإسلام مفتي الأنام بركة الزمان محيي السُّنة: جمال الدّين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي - رحمه اللّه- المقصود منها أنه ينبغي للعاقل أن يعرفَ قدر عُمره، وأن ينظر لنفسه في أمره فيغتنمَ ما يفوت استدراكه، وربما هلاكه بتضييعه.

---

(7): المرجع السابق، ص: 25.

وقد قسّم عمر الإنسان إلى خمس مراحل، لديه **مواسم** يجب ألا تمرّ إلا بالظفر بما فيها من نعيم وثواب وكد وتعب لخلود الراحة ونعيم الجنة والفوز بالرّحمة، فيتربّى المرء فيها على أن يتزود لها بما يناسبها من علم وخلق وسلوك بالعقيدة، والتطبيق بالعبادة والمعاملة.

كما أن علماء الإسلام في اهتدائهم بالقرآن قد أنعم عليهم الرحمن بمعرفة وعبقرية فذة ومعرفة فياضة بأغوار النّفس والمراحل والأحوال النّفسيّة والصفات الإيمانيّة والإشراقات النورانية والتزكية والترقية ولذة العبودية والنعمة الربانية، وصنف مراحل نمو الإنسان إلى المراحل التالية:

المرحلة الأولى: وهي من سنّ الولادة إلى البلوغ أي سن خمسة عشر سنة.

المرحلة الثانية: وهي من زمان بلوغه إل نهاية شبابه إلى تمام خمسة وثلاثين سنة.

المرحلة الثالثة: وهي من نهاية شبابه إلى تمام الخمسين سنة، وذلك زمان الكهولة، وقد يقال كهلا لما قبل ذلك.

المرحلة الرّابعة: من بعد الخمسين إلى آخر العمر فهو زمن الهرم ولم يتعصّب ابن الجوزي لرأيه بل كان واسع الصدر قابلا للخُلف حتى إنّه قال: وقد يتقدم ما ذكرنا من السنين ويتأخّر.[8]

والحق أنّ ابن الجوزي قسّم مراحل النمو الإنساني إلى ستّ مراحل هي:

---

(8): قد يظهر تكرار بعض كلام المؤلف في كتابه "الصحة النفسية للطفل" وهذا مما تقتضيه الدّراسة.

المرحلة الأولى: تبدأ من حدوث الحمل وتنتهي بالولادة، وهذه المرحلة لم يذكرها ابن الجوزي بصراحة ولكنه تعرض لذكرها في مواضع مختلفة من مؤلفاته، أما المراحل الخمس الباقية فقد أسماها بالمواسم وهي كما أوردها ابن الجوزي:

«**الموسم الأوّل:** من وقت الولادة إلى زمن البلوغ.

والموسم الثاني: من زمن البلوغ إلى خمس وثلاثين سنة، وهي زمن الشباب.

والموسم الثالث: من ذلك الزمن إلى تمام الخمسين سنة، وذلك زمن الكهولة، وقد يقال كهل لما قبل ذلك.

والموسم الرابع: من بعد الخمسين إلى تمام السبعين، وذلك زمن الشيخوخة.

والموسم الخامس: ما بعد السبعين إلى تمام العمر وهو زمن الهرم».[9]

ومن هنا يظهر تصرّف في كلام ابن الجوزي من قبل المؤلف لعله من باب الاختصار والإيجاز لأنه قام بإدماج بعض المراحل وخلُص إلى أربع مراحل، وهل هذا التقسيم لابن الجوزي يتفق مع علم النفس التكويني الحديث أم يختلف عنه؟ لم يتطرق الدكتور عبد الباري محمد داود لذلك بصفة مباشرة ولكنه أشار إليه بقوله: وقد أشار علماء نفس النمو وعلم النفس التربوي ووثائق حقوق الطفل العالمية ومعاهد دراسات الطفولة أن مرحلة الطفولة تمتد إلى سن الثمانية عشر سنة حتى صار عرفا لدى الجميع، فالمرحلة

---

(9): ابن الجوزي، تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، من كتاب التحفة الهية والطرفة الشهية، ص: 57-58.

تحتاج إلى الرضاعة والتربية والرعاية والمحبة والحنان والتوجيه كمرحلة عمرية، وقد قسمت إلى ثلاث مراحل عمرية يتميز فيها الطفل بخصائص جسمية ونفسية محددة، وهذه المراحل الثلاث يتميز بها الكائن الإنساني بالصيرورة إلى النمو الجسمي والارتقاء العقلي والمعرفي من الضعف إلى القوة، والطفولة بهذا المعنى تنقسم إلى:

1) مرحلة الطفولة المبكرة من سن سنتين إلى أقل من ست سنوات.
2) مرحلة الطفولة الوسطى من ست إلى أقل من تسع سنوات.
3) مرحلة الطفولة المتأخرة من تسعة إلى نحو اثني عشر عاما يعقبها مرحلة البلوغ والمراهقة.

ويرتبط بالنمو والارتقاء العقلي المعرفي قدرة الكائن الإنساني على الاستيعاب والفهم والتحليل والنّقد وغير ذلك من قدرات معرفية، وقد ارتبط بتلك الحقائق إمكانية توظيفها في العملية التعليمية من المرحلة الابتدائية إلى نهاية المرحلة الإعدادية.

إنّ التقسيم الذي أشار إليه الدكتور عبد الباري محمد داود من قول ابن الجوزي يتفق إلى حدّ كبير مع معظم تقسيمات المربين المسلمين وغيرهم من الغربيين، وسنورد التقسيمات الأساسية لمراحل النمو بناءً على تقسيم ابن الجوزي وما يقابله في علم النفس التكويني الحديث أو يختلف عنه.

- **مراحل النمو بين علماء الإسلام وعلم النّفس:**

أولا: المرحلة الأولى: تبدأ من حدوث الحمل وتنتهي بالولادة، اتفق في هذا التحديد ابن الجوزي مع علم النفس التكويني.[10]

ثانيا: المرحلة الثانية: وتمثّل الموسم الأوّل عند ابن الجوزي، وزمنها يمتد من وقت الولادة إلى البلوغ، ويتضمّن مرحلة الطفولة، كما يُقسّم علم نفس النمو هذه المرحلة إلى:

1) مرحلة الطفولة المبكّرة وتتضمن:

أ-مرحلة المهد: من الولادة إلى أسبوعين، ومرحلة الرّضاع: من الولادة إلى نهاية السّنة الثّانية.

ب-مرحلة الحضانة: من السّنة الثانية إلى نهاية العام الخامس، أو السادس.

2) مرحلة الطّفولة المتوسطة: ما بين 6-9 سنوات، الثلاث سنوات الأولى من المرحلة الابتدائية.

3) مرحلة الطفولة المتأخّرة: ما بين 9-12 سنة، الثلاث سنوات الأخرى من المرحلة الابتدائية.

ثالثا: المرحلة الثالثة: وتمثّل الموسم الثاني عند ابن الجوزي، ووقتها من زمن البلوغ إلى خمس وثلاثين سنة، وهو زمن الشباب، ويُفهم من هذا أنه قسم هذه المرحلة إلى قسمين:

---

(10): زهران، د.حامد، عبد السلام، علم نفس النمو، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الرابعة، 1977م، ص: 99 .

المرحلة الأولى: مرحلة البلوغ.

المرحلة الثانية: مرحلة الشباب.

ويُقسّم علم نفس النمو[11] هذه المرحلة إلى:

أ- مرحلة المراهقة المبكّرة من 12-13-14 (المرحلة الإعدادية).

ب- مرحلة المراهقة الوسطى: من 15-16-17 (المرحلة الثانوية).

جـ- مرحلة المراهقة الأخيرة: من 18-19-20-21 (المرحلة الجامعيّة).

وقد أضاف ابن الجوزي إلى هذه المرحلة، مرحلة الشّباب ما بين 21-35 سنة وإن كانت مرحلة الشباب في علم النفس ما بين 21-40سنة، وهي مرحلة مستقلة عن مرحلة المراهقة.

رابعا: المرحلة الرابعة: وتمثل الموسم الثالث عند ابن الجوزي، ووقتها كما قال: «من ذلك الزمن إلى تمام الخمسين سنة، وذلك زمن الكهولة، أي ما بين 35-50 سنة.

وتقسيم هذه المرحلة حسب علم نفس النمو[12] ما بين 40-60 سنة، وتمثل مرحلة الكهولة، وهذا التقسيم يختلف عن تقسيم ابن الجوزي.

خامسا: المرحلة الخامسة: وتمثل الموسم الرابع عند ابن الجوزي، ووقتها من بعد الخمسين إلى تمام السّبعين وذلك زمن الشيخوخة وتقسيم هذه

---

(11): المرجع السّابق، ص: 62.

(12): السيد، د.فؤاد، البهي، الأسس النفسية للنمو، الطبعة الرابعة، 1975م، دون ناشر، ص: 335.

المرحلة حسب علم نفس النمو[13] من 60 سنة إلى الموت، وتمثل مرحلة الشّيخوخة، وفي هذه المرحلة يختلف تقسيم ابن الجوزي عن علم نفس النمو.

سادسا: المرحلة السّادسة: وتمثّل الموسم الخامس عند ابن الجوزي، ووقتها من السبعين إلى تمام العمر وهو زمن الهرم، وهذه المرحلة تقع في علم نفس النمو ضمن مرحلة الشّيخوخة المتأخّرة، وتمتد من 75سنة إلى نهاية العمر[14]، وهكذا نجد أنّ هناك اختلافا من وجهة نظر ابن الجوزي عن علم نفس النمو وذلك في بعض المراحل، ولا سِيّما في مرحلة الشباب والشيخوخة والهرم.

- **رأي ابن الجوزي في مرحلة ما قبل الولادة:**

وهذه المرحلة هي لم يذكرها ابن الجوزي تصريحا في رسالته **تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر**، ولكنّه تعرّض لذكرها في بعض مؤلّفاته، من المعروف أن هناك عوامل تؤثر في نمو الطّفل الجسمي والنّفسي والخلقي وهو في بطن أمّه،و هذه العوامل قد تكون إيجابيّةً أو سلبيةً، منها على سبيل المثال: الاهتمام بجميع النواحي النفسية والصحية والعلاقات الاجتماعية بالأم حتى لا ينعكس شيء من المؤثرات الضارة على الجنين، وهذه المؤثرات التربوية والنفسية لم يذكرها ابن الجوزي، لأنه كتب عن التربية بعمومها ولم يكتبها

(13): المرجع السّابق، ص: 335.

(14): المرجع السّابق، ص: 335.

بدقة كما حددها بعض علماء التربية المسلمين أمثال الغزالي وابن القيم... إلخ.

وكذلك تناول الدّكتور عبد الباري محمد داود في مؤلفه تركيز ابن الجوزي –رحمه الله- على دور الوالدين البالغ خلال المرحلة الأولى من الولادة إلى سنّ البلوغ من تعليم الصغار وتأديبهم واكتشاف مكنوناتهم العقلية من ذكاء وعبقرية واستثمار أذهانهم، وتشخيص أدوائِهم وتعيين الأدوية اللازمة لذلك، ثم بَيّن أهمية التبكير بالزواج لكونه حصنًا منيعا وما له من فوائد وما يدفع من مضار في حياة الإنسان، قد تعرّض للمراحل من الولادة إلى الهرم بلوغا واستعداد للقاء الله جل وعلا باطمئنان ورضاء الرحمن شأن النّفساني المتخصّص، وهذا من آثار القرآن لمن اهتدى به حصل له ما لم يظفر به المدّعون في زمن الادّعاء وليس أصلح للصّحة النّفسيّة من الاهتداء بنور كتاب الله الكريم، سعى الكاتب إلى دراسة مقارنة تأصيليّة للنمو ومراحله بين علماء الإسلام وفهم لكتاب الله وسنّة رسوله عليه الصّلاة والسّلام وغيرهم من المتخصصين في علم النمو والتربية للإنسان إظهارًا وإنصافًا لعلماء الإسلام وبيان فضلهم ودورهم البالغ في خدمة تعليم وتفهم الكتاب والسنة وآراء السّلف في تناول الارتقاء والتّأهيل للمفاهيم حسب ديننا وفقهنا وديدن فطرتنا، والأطفال والشّباب اليوم بالرّغم من الكتابة في إصلاح أحوالهم النّفسيّة إلاّ أنهم عرضة للآفات من كل حدَب وصوب قصد النّأي بهم عن العقيدة السليمة، فصارت تتخطفهم العقائد الفاسدة وتتجاذبهم التيّارات الفاشلة من دون دال على الخير أو موجّه ومقوّم، تراهم ينعقون بما لا

يسمعون إلا دعاءً ونداءً، صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون، وإخوانهم يمدونهم في الغيّ مدّا والشياطين تؤزهم أزّا، فهل العيب فينا أم في سوانا؟ وهل توافرت عوامل السلامة والتحصين والوجاء ابتداءً بحسن اختيار الأمهات الفضليات والمربيّات؟ هل اتبعنا شرع الإسلام في شؤون حياتنا وواقعنا وزادت صلتنا بكتاب الله؟ قال تعالى: **[ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير]** [15]، لا بد من الاستعانة بالله جلّ وعز في فهم غوائر النّفس الإنسانيّة وإهدائها سبيل الرّشاد غرسًا للعقيدة في القلب وتمكينا لقانون الله وسيرًا على شرعه فما كان موافقا لشرعتنا ومنهاجنا أخذنا به حتى أننا ندافع وننافح عنه، وأمّا ما كان مخالفا لا مناص من الانفكاك عنه وإنكاره غير آبهين به ولا مبالين إنقاذًا للطفل لا سِيّما حال الصّغر التي تُنقش فيها الطّباع، وتغرس العوائد ويتسلّح فيها بالأخلاق الفاضلة لاجتياز حياته بأسمى معاني العفّة والإباء.

فالباحث يناقش **الصّحة النّفسيّة ومؤشّراتها من وجهة نظر إسلامية**، ذلك أنّه حينما يتعرّض علماء النّفس الغربيين للدّين فإنهم ينظرون إليه باعتباره دافعا اجتماعيا مكتسبا، نشأ تحت تأثير بعض الظّروف الاجتماعيّة والنّفسيّة التي مرّ بها الإنسان عبر عصور تاريخه القديم[16]، وتماشيا مع الاتجاه المادّي الذي يغلب على دراسات علم النّفس الحديث أيضا فإنّ علماء النّفس الغربيين حين يتكلمون عن مؤشّرات الصّحة النّفسيّة فإنهم يذكرون كثيرا من العوامل التي تتعلّق بقدرة الفرد وفاعليته في القيام بشؤون حياته

(15):سورة الملك،الآية:14.

(16):ينظر، محمّد عثمان نجاتي،القرآن وعلم النّفس، ص:52،49.

الواقعيّة والشّخصية والاجتماعيّة، وإشباع حاجاته الدّنيويّة، ولكنّهم لا يوجهون أي اهتمام إلى تأثير النّواحي الروحية في سلوك الإنسان وصحته النّفسيّة ويغفلون تأثير الإيمان بالله تعالى في التخلّص من القلق وفي بثّ الشعور بالأمن والطّمأنينة في النّفس، لذلك فنحن في حاجة إلى إعادة النّظر في مفهوم "الشخصيّة السويّة" و"الصّحة النّفسيّة"، وإعادة تعريفهما تعريفا إجرائيا يتفق مع تصوّرنا الإسلامي للإنسان[17]، حتى ينشأ في بيئة أسرية صالحة، عارفة بالأحكام ملمّة بالأركان، مدركة للواجبات الإسلاميّة كان لا بدّ من الاختيار السّليم للزوجة الصّالحة الواعية المتفهمة لأمور دينها من جميع الجوانب، حتى تستطيع أن تربي أبناءها على علم وهدى وبصيرة، ونتيجةً لجهل الآباء والأمهات بالحقوق والواجبات والأحكام الشرعيّة، فقد أثّر ذلك في تربيتهم، فقال ابن الجوزي في ذلك: «ورأيت أحد العوام يشغل ولده حين ينشأ بالمعاش، ولا يعلّمه واجبات العبادة ولوازم المعاملات، فيتقلّب الولد في طلب الدّنيا، ولا يعلم أخبار الآخرة، ولا يعرف فرضا من الفرائض، ولا يردّ لجامه عن الهوى ألف رائض، فإن أفلح وحضر مجلسا من مجالس القُصّاص، فربّما سمع منهم أحاديث الرّخص الباطلة، فخرج مصرًّا على الذّنوب، ويقول: ربي كريم... وهلمّ جرّا»[18].

(17): ينظر، محمّد عثمان نجاتي، الحديث النّبوي وعلم النّفس، ص: 7،8.

(18): ينظر، ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن، أحكام النّساء، ص: 4.

ولقد فطر الله -عزّ وجل- النّاس على حبّ أولادهم، قال تعالى:[**المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خيرعند ربك ثوابا وخير أملا**][19]، ويبذل الأبوان الغالي والنّفيس

من أجل تربية أبنائهم وتنشئتهم وتعليمهم، ومسؤولية الوالدين في ذلك كبيرة، فالأبناء أمانة في عنق والديهم، والتّركيز على تربيّة المنزل أوّلا وتربيّة الأمّ بالذّات في السّنوات الأولى، فقلوبهم الطّاهرة جواهر نفيسة خالية من كل نقش وصورة، وهم قابلون لكلّ ما ينقش عليها، فإن عُوّدوا الخير والمعروف تربوا عليه، وسُعدوا في الدّنيا والآخرة، وشاركوا في ثواب والديهم، وإن عوّدوا الشرّ والباطل شقوا وهلكوا، وكان الوِزر في رقبة والديهم، والويل لهم[20]، ويمكن القول: إنّ للأسرة دورٌ كبيرٌ في رعاية الأولاد -منذ ولادتهم- وفي تشكيل أخلاقهم وسلوكهم، وما أجمل قول عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- "الصلاح من الله، والأدب من الآباء"، ومن يُجَلِّل شخصية صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله-، فإنه سيجد أن سرّ نجاحه وتميزه سببه التربية التي تلقاها في البيت[21]، وما أجمل عبارة: "إن وراء كل رجل عظيم أبوين مربيين"، وكما يقول بعض أساتذة علم النفس: "أعطونا السنوات السبع الأولى للأبناء نعطيكم

---

(19): سورة الكهف، الآية: 46.

(20): ينظر، الغزالي، إحياء علوم الدّين، ص: 200، ج: 02.

(21): ألف الأستاذ يحي حسين كتابا بعنوان: (عظماء اشتهروا بأمهاتهم) ذكر فيه نخبة متميزة أثرت في التاريخ وغيرت مجرى الحياة، يراجع مقال: ((هل عام 99 هو عام الحزن)) لجاسم المطوع، مجلة: (ولدي (الكويتية- العدد الثالث عشر-ديسمبر 1999م، ص: 66.

التشكيل الذي سيكون عليه الأبناء" وكما قيل: "الرّجال لا يولدون بل يُصنعون".

وكما عبّر الشّاعر فيما يوحي إلى ذلك:

وينشأ ناشئ الفتيان منّا***على ما كان عوّده أبوه.

وإهمال تربية الأبناء جريمة يترتّب عليها أوخم العواقب على حدّ قول الشّاعر:

إهمالُ تربية البنين جريمة***عادت على الآباء بالنّكبات.

ونذكر قصّة في جانب الإهمال، حيث سرق رجل مالًا كثيرًا، وقُدّم للحد فطلب أمه، ولَمّا جاءت دعاها ليقبلها، ثم عضها عضة شديدة، وقيل له ما حملك على ما صنعت؟ قال: سرقت بيضة وأنا صغير، فشجعتني وأقرتني على الجريمة حتى أفضت بي إلى ما أنا عليه الآن.[22]

هذا ولقد أشار صاحب الكتاب إلى أنّ الله جلّ وعلا كلّف الخلق بامتثال وتنفيذ أمره وتصديق خبره وهذا مقتضى عبادته سبحانه ومن ضمن ما كلف به الإنسان حسن رعاية الذريّة وإصلاح النّفس والسّعي لاستنقاذ النّفس مع الأهل والأولاد من النّار وسوف يُسألون كما قال سبحانه: **[يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها النّاس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون]** [23]،وقال:[**يوصيكم**

(22): ينظر، محمد البيحاني، إصلاح المجتمع، ص: 127.

(23): سورة التحريم، الآية: 06.

الله في أولادكم] [24]، وقال صلى الله عليه وسلّم: «كلكم راعٍ... رعيتها»، «وإنّ لولدك عليك لحقا» وهذا في الحقيقة من باب أداء الأمانة أو خيانتها والثّمار بحسب الاعتناء بنبات البلد، فالبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربّه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا، فلما كان الأولاد هم ثمار القلوب وعماد الظهور، وفلذة الأكباد نصح الإمام ابن الجوزي ولده بنصيحة تربوية بليغة غالية وقد أطلق عليها (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد)، وضع فيها للوالد والولد منهاجا سلفيا قرآنيا في صلة وثيقة بالله عزّ وجل على السنن ذاته في رسالته (أيها الولد)، وابن سينا في (سياسة الصبيان) وغيرهم... حيث إن علماء الإسلام اتخذوه -الإسلام-بلسمَ الجراح الشافي وسرَّ النجاح الساحق لفعالية التربية الإسلاميّة الإصلاحية، ولكن للأسف كثير من الأدعياء جانبوا الصّواب وعكّروا هذا النبع الصافي –أي الطفل- وأنسوه الاستخلاف في الأرض وعمدوا إلى إطفاء جِذوة الحماس للحق في كيانه، بل وانتهوا إلى ذلك الغزو والتّدليس والميوعة واستغلال البنات المسلمات لأغراض دنيئة وكيف وعن أي شيء يتكلمون؟ وفيما يخوضون؟ ألا فلتحذروا يوما لا ينفع مال ولا بنون.[25]

فكلّ ما ذكره المؤلّف من النّصوص وغيرها كثير دلّت على المسؤوليّة التي تقع على عاتق الآباء والأمهات تلقاء أبنائهم امتثالا لأمر الله بذلك وشكرًا له على هذه النّعمة والمنّة التي امتنّ الله عليهم بها، وتعليم القرآن هو أساس

---

(24): سورة النّساء، الآية: 11.

(25): قد يظهر أن هناك تكرارا لبعض ما ذكره المؤلّف وهذا ما تقتضيه طبيعة الدّراسة في أثناء التّلخيص والتنقيب بين ثناياها.

التعليم لأنّه يؤدّي إلى تثبيت العقيدة ورسوخ الإيمان ويعضد ما قاله صاحب الكتاب ما ذكره الدكتور محمّد راتب النّابلسي أنّ الإمام الغزالي يوصي في إحيائه بتعليم القرآن للأطفال وتحفيظه، ووضّح أنّ تعليم القرآن هو أساس التّعليم في جميع المناهج الدّراسيّة في مختلف البلاد الإسلاميّة، لأنّه شعار من شعائر الدّين، ولاحِظ السّور التي حفظتها في سنّ مبكرة لا تزال حتى الآن تحفظها، لأنّ العلم في الصّغر كالنّقش على الحجر، والعلم في الكبر كالكتابة على الماء، إن سمع خطبة يقول: ما شاء الله، وإن سألته ماذا قال الخطيب؟ يقول: والله لا أتذكّر شيئا منها، وابن سينا نصح في كتابه السّياسة بالبدء بتعليم الطّفل القرآن الكريم بمجرّد استعداده جسميا وعقليا لهذا التّعليم، فينبغي تأديب الأولاد على حبّ النبي عليه الصّلاة والسّلام، ومعنى ذلك أن الطفل يحتاج إلى مَثَل ومُثُل فالنبي هو القدوة والصحابة والأفذاذ من الخلق لا بد أن تقرأ للطفل سيرتهم والقرآن له أثر بالغ في استقامة اللّغة على اللّسان العربي وتقويتها.[26]

ثم انتقل الدّكتور عبد الباري محمّد داود إلى أنّ القرآن الكريم كتاب معجز من كل وجه فإنه قد فصّل مراحل النمو وذكر بدء الخليقة والأصل الترابي للإنسان ثم الذريّة فضلا عن كل المجالات التي فيها البيان والتبيين وكل هذا غيض من فيض عطاء الرحمن في آيات القرآن للاستقاء من معين فضله والاستضاءة بنوره وانتهاج نهجه في التّربية، ليعرف الطفل الغاية التي خلق

(26): ينظر، الدكتور محمّد راتب النّابلسي، تربية الأولاد في الإسلام، ص: 28-29.

لها مع علو الهمّة وشحذ العزيمة والسمّو في الأخلاق والدّين والنفسيّة والإيمان، ولمّا كانت الطّفولة مرحلة الغرس فالطّفل كالعجينة اللّينة في يد العجّان، ومن هنا يستلزم أن يكون العجّان ماهرا حاذقا حكيما، لأنه إذا كان العجين مزاجه القرآن والسنة صار طيب الريح والمذاق وإلا فالضد بالضدّ يفهم، ولا سبيل للوجاء النفسي والتحصين للطفل إلاّ الاستقامة على الطّريقة (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه... أو ينصرانه أو يمجسانه)، ونحن نرى عِيانا الارتكاسَ النفسي الذي أصاب الأطفال جراء المسلسلات الخليعة والموضة المبثوثة وكل ما كان مخالفا للهدي النبوي، فصار السوء ملءَ سمع الطّفل، والفحشاء ملءَ بصره والتيه ملءَ فكره، وهذا مقتضى قول ابن الجوزري: الاحتكام إلى العقل الذي كرم به الإنسان زهدا في الدنيا وتحقيقا لما خلق من أجله للظفر بالفوز في الدنيا والفلاح في الآخرة، والتلاقح بين الأمومة الصّادقة الدّافئة والأبوة الواعيّة الناصحة درع واقٍ للطفولة البريئة لأن التأديب والتعليم في الصغر كالنّقش في الحجر، قال الشاعر:

قد ينفع الأدبُ والصغير في مهد ***وليس ينفع في ذي الشّيبة الأدب.

كما أنه ينبغي مراعاة الفروق الفردية والطّاقة الذهنيّة للأطفال فقد يكون الطفل ذكيا أو عبقريا أو موهوبا متميزا بالرغم من كون هؤلاء منحرفين متطرفين لأنهم قلة على المنحنى الجرسي الذي يمثل الأسوياء المعتدلين والفاشلين المتأخرين، والمقصود أنّ الأبوين المفطورين على حبّ ولدهما يستشعران مراحل نموّه ويتابعانه فيعلمان متطلّبات ومهام كل مرحلة

ويشبعانها في الطّفل كما يشبّ سويا سليما قويا ناضجا فتيا ذكيا،ولعلّ الكاتب يشير إلى علم النّفس الإسلامي.

إنّ اهتمامنا بإقامة علم النّفس الإسلامي لا يجعلنا نقف من علم النّفس الحديث موقفا متطرّفا فنرفضه كلّه كما فعل بعض الكتّاب الإسلاميين الذين رفضوا علم النّفس الحديث رفضا تامّا وذهبوا إلى أنّ علم النّفس الصّحيح الحقيقي هو فقط ما جاء في القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف عن حياة الإنسان النّفسيّة، واجتهاد بعض علماء المسلمين حول هذا الموضوع، وذهب بعض الكُتّاب المسلمين إلى رفض علم النّفس الحديث على اعتبار أنه هو نظريات التّحليل النّفساني لسيجمند فرويد S.Freud، وقد نسي هؤلاء الكتّاب أو تناسوا أنّ فرويد ليس عالما نفسانيا، وإنّما هو طبيب أمراض عصبيّة، وقد توصّل إلى نظرياته أثناء علاجه لمرضاه، وقد أخطأ فرويد خطأ كبيرا حينما عمّم ما رآه عند بعض مرضاه، على النّاس كافّة، وقد كان موقف فرويد المتطرّف في اعتبار الكبت الجنسي وما تفرّع عنه من عقد مثل عقدة أوديب وعقدة إلكترا وغيرهما هو أساس نشوء الأمراض العصبيّة ولم تحظ آراء فرويد في الجنس بموافقة تلاميذه المعاصرين، مثل ألفرد أدلر، وكارف ج نجونج، فانشقّوا عليه ووضعوا تفسيرات أخرى للأمراض العصابيّة.[27]

(27): ينظر، محمد عثمان نجاتي، مقدمة لترجمة كتاب معالم التحليل النفسي لفرويد، ص: 13-39.

إننا لا نرفض كلّ بحوث ونتائج علم النّفس الحديث، بل إنّنا نعترف بأنّ علم النّفس الحديث قد استطاع بتطبيق منهج البحث التجريبي الوصول إلى حقائق صحيحة ويقينيّة في مجالات البحث التي أمكن إخضاعها للبحث التجريبي مثل الإدراك الحسّي والتعلّم والتذكّر والنّسيان، وغيرها من الموضوعات الأخرى الكثيرة ونحن لا نتوقّع وجود أيّ تعارض بين نتائج البحوث التجريبية وبين مبادئ الإسلام ولكنّنا نتوقع وجود تعارض بين بعض نظرياتهم التي لا تستند على نتائج البحوث التجريبية، وإنّما تعتمد على تصوراتهم الخاصّة للإنسان والحياة والكون، وهي تصورات لا تقوم على أساس مبادئ دينيّة، وإنّما تعتمد على فلسفتهم في الحياة، وهي في الأغلب فلسفة إلحاديّة لا تمتّ بصلة للنّواحي الرّوحية للإنسان...، ونحن نوافق ما قاله مالك بدري من أنه كلّما كانت النّظريّات التي يقول بها علماء النفس الغربيون ناشئة عن نتائج بحوث تجريبية فهي مقبولة من وِجهة نظر إسلاميّة، وكلما كانت ناشئة عن نظرياتهم الفلسفية وتصوراتهم الإلحاديّة عن الإنسان والكون والحياة،كانت غير مقبولة.[28]

خلاصة الفصل الأوّل:

من خلال هذا الفصل المسمّى بعقيدة الإيمان والوجاء النّفسي تجلّت مراحل نمو الإنسان عند ابن الجوزي جمال الدين القرشي ومدى التوافق في بعض المراحل مع علماء نفس النمو، ومخالفته في البعض، ثم الحصانة

(28): ينظر، الدكتور محمّد راتب النّابلسي، تربية الأولاد في الإسلام، ص: 28-29.

والوجاء اللذان تفرّد بهما الإسلام، وكذلك الاهتمام البالغ برعاية الأبناء في الأرحام والتوجيه الإسلامي للبنات ثم تطرق صاحب الكتاب في هذا الفصل إلى عقيدة المسلمين وغاية الوجود والخلق، ومن ثمّ ركّز على مرحلة الطفولة التي تعتبر بمثابة الغرس للإيمان وتعليم القرآن والتخلق بفاضل الأخلاق والشمائل التي مصدرها كتاب الله وسنة رسوله وحجته في ذلك أنه لا تصلح الأمة ولا تصح إلا بما صلح به أولها مصداق قول رسول الله عليه الصلاة والسّلام: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"، لأن الاستقامة على الطريقة سبب في سعادة الإنسان حيث تعتبر هذه الأخيرة عنوان الصّحة النفسية للطّفل ولا يكون ذلك إلا بتفعيل دور الوالدين واعتماد التربية الإسلامية في تربية الأبناء، والبعد عن كل ما يؤثّر سلبا على صحّة الطّفل النّفسية وينأى بهم إلى الانحلال والفساد الأخلاقي وانتشار الأمراض النفسية الخطيرة جرّاء التقليد الأعمى لغير المسلمين لأنّنا أخذنا الخبيث منهم ولم نقبس من الطيّبات إلّا القليل.

الفصل الثاني

النّماء النفسي للطفل

رؤية تمهيدية

***

تناول الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه "الصّحة النفسيّة للطّفل" في الفصل الثاني المتعلّق بالنّماء النّفسي للطّفل **أنّ أصل الإنسان هو آدم عليه** السّلام أبو البشر خلافا لدعاة نظرية القردة والترقي في الكائنات فالباري سبحانه وتعالى بل وكلُّ الشرائع أجمعت أن آدم عليه السلام ليس قبله إنسا أبدا بيد أنه يوجد مخلوقات أخرى قبله كالجن والملائكة فهو إذا أبو الخليقة وخلقت حواء من ضَلعه فصارت هي الثانية أم الخليقة استخلفهما الله جل وعلا في أرض حاملين أمانتَه خُلِقا في أحسن تقويم، متمتعين بالصّحة النّفسيّة يشعران بالتكريم والاستحسان والأمن والطّمأنينة ثم وهنت صحتُهما النّفسيّة عندما خالفا منهجَ الله وأكلا من الشجرة، فشَعرا بالعجز والقلق والذّنب والمرض النّفسي ثم عادت إليهما صحتهما النّفسيّة بتوبة الله عليهما في الدّنيا والآخرة وهذا هو منهج الهدى فمن اتّبعه تمتّع بالصّحة النّفسيّة ومن أعرض عنه شقيَ وتعس.

من الواضح أنّ التسليم بحقيقة خلق الإنسان من مادّة وروح تؤدّي بنا إلى رفض المفاهيم والنّظريات الموجودة في علم النفس التي تعتمد على نظرية التطور لداروين في صورتها الفجّة الشائعة، والتي تذهب أن الحيوانات العليا بما فيها الإنسان، قد تطورت عبر عصور التاريخ القديمة، عن حيوانات

أدنى، فالإنسان الأول آدم عليه السلام، قد خلقه الله تعالى منذ البداية على صورته، ولكن هذا لا يعني أننا ننكر مفهوم التطوّر كحقيقة علمية، وسنة من سنن الله الكونية التي يجب أن ندرسها في صورتها العلمية الحقيقية، فالإنسان مثلا وكذلك الحيوان يمر تكوينه وهو جنين حتى يكتمل تكوينه على الهيئة التي أرادها الله تعالى له، ويمر الوليد بعد الميلاد، بعدة مراحل من أطوار النمو يبلغ كمال نموه ونضجه، ومن الطبيعي أن ينشأ عن تعارض بعض مطالب وحاجات العنصرين-المادّة والرّوح-اللذين يتكون منهما الإنسان نوع من الصّراع النّفسي الذي يعاني منه كثير من النّاس، ويصبح من الضروري على الإنسان أن يعمل على تحقيق قدر معقول من التناسق والتوازن بينها إذ أنّ ذلك يتوقف على تحقيق الشّخصية السويّة، والصّحة النّفسيّة وهذه الحقيقة تستلزم منّا أيضا إعادة النّظر في مفاهيم علماء النّفس المحدثين عن الشّخصية السويّة، والصحة النفسية ومؤشّرات الصحة النّفسيّة[29]، وفي هذا الصّدد يقول رشاد خليل في نقده لنظرية التّطور: «إنّ العلم التجريبي لم يترك البحث في حقائق الأشياء، ومنها أصل الإنسان وأصل النّفس الإنسانيّة فقد ذهب إلى أنّ الإنسان هو حلقة في سلسلة التطور التي بدأت في المادّة وانتهت بالإنسان وقد استقرّ الآن كأصل تقوم عليه جميع العلوم الإنسانية في الغرب-أنّ الإنسان حيوان متطوّر، كما استقرّ في هذا المجال إنكار الرّوح الخاصّة بالإنسان، وكذلك الخلق الخاص

(29): دكتور محمد عثمان نجاتي، مدخل إلى علم النّفس الإسلامي، الكويت، ص: 104،103.

من أجل ذلك نرى العلوم الإنسانية تدرس الإنسان باعتباره شيئا تحكمه نفس القوانين الطبيعيّة وإذا كان هناك ردّ فعل في الغرب إزاء اعتبار الإنسان مجرّد شيء من الأشياء فإنّ الاعتراض وردّ الفعل ليس مصدرُهُ الإيمان بخلق الإنسان وروحه، وإنّما مصدره العجز عن تفسير كثير من أحواله النفسية والعضوية باعتباره مجرّد شيء، أو مجرّد حيوان، ولذا ذهب أصحاب رد الفعل هؤلاء إلى القول بأنّ الإنسان، وإن كان متطوّرا عن مادة حيّة، هي نفسها تطوّرت عن مادّة جامدة، إلا أن الإنسان قد قطع مرحلة هائلة من التطور جعلته يتميز عن بقيّة الكائنات الأخرى بخصائص جوهريّة جعلت له طبيعة خاصة متميزة، ومن أجل هذا دعا هؤلاء إلى ضرورة استقلال العلوم الإنسانيّة عن العلوم الطبيعيّة، وأن تدرس الطبيعة الإنسانية على أساس أنّ لها قوانينَها الخاصّة التي تحكمها، وهكذا نرى أن علم النفس الحديث قد بنى فهمه للنّفس الإنسانيّة على أساس من الظّنون والأوهام بسبب عدم علمه بالعلم الإلهي الذي خصّ الله به المسلمين فيما يتعلّق بأصل النّفس وحقيقتها، وتكوينها، وهو العلم الذي يستحيل بدونه بناء فهم سليم للنّفس الإنسانيّة مهما تقدّمت وسائل التجريب. لأنّ النّفس ليست شيئا، وليست مجرّد مادة حيّة يمكن إخضاعها للفحص التجريبي، وإنّما هي كائن مركّب من جانب مغيب لا سبيل للعلم به إلاّ بتعليم من الله، وجانب مشهود يمكن

العلم به علما جزئيا وأقول جزئيا لأنّ الجانب المحسوس من الإنسان مرتبط بالجزء المغيب، ولا يمكن فهمه فهما صحيحا إلاّ به».[30]

أطوار خلق الإنسان:

ذكر صاحب الكتاب المراد بالأطوار: مراحل خلق الإنسان في رحم أمّه، ومراحل نشأته وحياته.

تجدر الإشارة إلى خلق آدم عليه السلام أبي البشرية، ولقد حكى القرآن ذلك وفصّله تفصيلا حيث خُلق من تراب فيه قبضة من جميع الأرض وهذا ما يفسر التباين بين البشر واختلاف ألسنتهم وألوانهم أحوالهم وطبائعهم، ثم بعد ذلك من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخّار ثم نُفخ فيه الرّوح فصار إنسانا حيا عاقلا ناطقا مستوي القامة حسن الهيئة ثم علمه الأسماء والحاصل أنه مرّ بثلاث مراحل:

الأولى: ترابيّة.

الثانية: طينيّة.

والثالثة: تكوينيّة.

ثم خلق من آدم حواء فكان التناسل والسّكون، فذريّة آدم عليه السّلام وبقيّة البشر كانت بالتزاوج والتناسل إلا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسّلام فهو من روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم ثم إن الذريّة مرّت بمراحل لم يمرّ بها آدم وهي: النطفة والعلقة والمضغة ثم النفخ في الروح، ثم إن الباري سبحانه

---

(30): محمد رشاد خليل، علم النّفس الإسلامي العام والتربوي-دراسة مقارنة-، الكويت دار القلم، 1987م، ص: 70،71.

حينما ذكر الأطوار التي تستلزم الوقار والعظمة لله عز وجل أشار إلى المراحل الأول التي لا دخل للإنسان فيها بقوله: "ثم نخرجكم طفلا" ثم نسب للإنسان العلاقة المباشرة في الانتقال من الطفولة إلى البلوغ بقوله: **[لتبلغوا أشدّكم]** وفي هذا إشارة إلى أن الخالق الباري أمدّ الإنسان في المراحل التكوينيّة بقدرات واستعدادات مادّية ظاهرية مثل: الحواس، وبعضها معنوي كالغرائز والدّوافع الفطريّة والهمّ والتفكير ليشق حياته ويبلغ القصد في النمو والنّضج، لأن الأصل فيه الجهل حتى يتعلم ومصداق ذلك قول الله تبارك وتعالى: **[والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا]**.[31]

هذه المراحل كلها مستمدّة من كتاب الله عزّ وجلّ، فذرية آدم عليه السلام باستثنائه هو و زوجه حواء وعيسى عليه السّلام كلّها مرّت بالمرحلة التكوينية أما الترابية والطينية فهي الأصل الذي يشترك فيه الجميع ومن هنا لا بدّ من التركيز على المرحلة التكوينية التي فيها ردّ على نظرية داروين، ونناقش المرحلة التكوينية بين ابن الجوزي والعلم الحديث فنجد:

1) النّطفة: قال ابن الجوزي في تفسيرها: «فأمّا النطفة فهي المني»[32]، وقد وردت في القرآن الكريم بأسماء عدّة منها: الماء المهين، والماء الدّافق، والمني وقد وضّح معناها د.محمد علي البار بقوله: «ويطلق لفظ المني على الإفرازات

(31): ملخّص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود من كتابه الصحّة النفسية للفصل الثاني النماء النفسي للطفل رؤية تمهيدية.

(32): ابن الجوزي، زاد المسير في علم التّفسير. دمشق،بيروت،المكتب الإسلامي، للطباعة والنشر، الطّبعة الأولى، 1384هـ-1964م، الجزء الخامس، ص: 462.

التناسلية للرجل، والتي تفرزها الخصية والبروستات والحويصلة المنوية..

والمني مكون من شقين:

الأول: هي الحيوانات المنوية التي تتكون في القنوات المنوية في الخصية، وهي ذاتها المسمّاة بالنّطفة.

الثّاني: هو السائل المنوي الذي يحمل هذه الحيوانات ويغذّيها والتي تسبح فيه حتى تصل إلى الرّحم.[33]

2) العلقة: فسّر معناها ابن الجوزي بقوله: «والعلقة: دم عبيط جامد وقيل: سمّيت علقة لرطوبتها وتعلّقها بما تمرّ به، فإذا جفّت فليست علقةً»، أمّا في علم الأجنّة الحديث: «المرحلة التي تعلق فيها الكرة الجرثوميّة بجدار الرّحم، وتنتهي بظهور الكتل البدنيّة، إذ تدلف حينئذ إلى مرحلة المضغة»[34] وقد خالفه الأطبّاء المحدثون بمفهوم العلقة، ونعذره لأن الوسائل الموجودة اليوم والتقدم الذي يشهده الطب ليس كعصر ابن الجوزي.

3) المضغة: قد جاء في علم الأجنّة أنّ هذه المرحلة تعتبر بداية التّكوين العضوي بيّن معناها محمّد علي البار بقوله: «هي مرحلة في علم الأجنّة يشبه الجنين فيها في مظهره لقمة ممضوغة، ولكأنّما تظهر فيه آثار الأسنان

(33): البار، خلق الإنسان بين الطّب والقرآن، ص: 48.

(34): البار، الوجيز في علم الأجنّة القرآني، ص: 29.

مغروزة»[35]، وقد فسّر ابن الجوزي معناها بقوله: «والمضغة: لحمة صغيرة، قال ابن قتيبة: وسمّيت بذلك لأنّها بقدر ما تمضغ».[36]

ونلاحظ أنّ ابنَ الجوزي لم يفسّر مرحلة العظام واللّحم كما فعل في المراحل الثلاث السابقة التي طرأت على الجنين، وربّما لم يفسّر مرحلتي العظام واللحم لتداخلهما، ولأنّه كما ثبت من خلال الأبحاث العلمية: «أنّ العظام تبدأ في الظهور في الوقت الذي ما يزال الوصف الغالب على الجنين هو المضغة، وتظهر العضلات والعظام وهي لم تكتمل بعد ويظهر الجلد ولم يكتمل نمو العضلات»[37] والحاصل أنّ معلومات ابن الجوزي في علم الأجنّة تستند إلى فهمه لتفسير الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة، ولم تخضع معلوماته للتجربة العلميّة التي وضّحت بعض التّفصيلات الدّقيقة جدًّا من خلال مشاهداتها المعمليّة، وهذا لا يعني أنّ القرآن لم يذكرها، بل ذكرها، وإنّما حدود تفسيرهم للآية القرآنية، يقف على المعنى الظّاهري لها فتكرار التجارب المعملية سبب في ظهور التفصيلات الدقيقة التي تؤكّد مدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة، وبعد تحديد نوع الجنين من قبل الله تعالى –جلّ جلاله- ونفخ الرّوح فيه يكون قد استكمل مكوناته وصفاته الإنسانية، ويستمر في النمو حتى يأذن الله تعالى بخروجه إلى الدّنيا، والذي يبدو -مما

(35): مرجع سابق، البار، الوجيز في علم الأجنّة القرآني، ص: 39.

(36): مرجع سابق، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التّفسير. الجزء الخامس، ص: 406.

(37): دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، عز الدين، توفيق محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى،1407هـ-1982م، ص: 133.

سبق - أنّ ابن الجوزي ركّز على مراحل تكوين الجنين وأغفل التوجيهات والإرشادات التربوية الإسلامية للمرأة الحامل، من جميع جوانبها النّفسيّة والخُلقية والصحية والاجتماعية، حتى تنجب ذريّة صالحة سليمة وقوية، تستطيع القيام بعمارة الأرض لأنّ هذه الأمور تؤثّر تأثيرا كبيرا في نمو الجنين وهو في بطن أمّه.[38]

ثمّ استطرد -الدّكتور عبد الباري محمد داود في مؤلَّفه- الغاية من خلق الإنسان:

لم يُخلق عبثًا ولا سُدى بل خلق لأمر عظيم لو أبصرت عيناه، خلق لحمل الأمانة الكبرى في هذه الدّنيا الدّنيّة، أمانة التّكاليف والمسؤولية فيصهره الابتلاء، وتصقله التكاليف ومن ثم ينضج ويعد للبقاء الأبدي خضوعا وانقيادا للأوامر وإذعانا وقبولا للأخبار إخلاصًا لله جلّ وعزّ ومتابعة للنبي المصطفى عليه أفضل الصّلاة والتّسليم، وقد ذكر سبحانه في لمح البصر الحمل والولادة والحياة بقوله: **[فلينظر الإنسان ممّ خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه لرجعه لقادر يوم تبلى السرائر..]** [39]

أطوار خلق الإنسان في القرآن: يُعنى علم النّفس بدراسة مراحل نمو الطّفل منذ ميلاده بل وقبل ذلك لما كان جنينا في بطن أمّه وما يؤثر في تكوينه من عوامل وراثيّة وبيئيّة مختلفة، وهذا سبب قاطع في فهم شخصيّة الطّفل وتوجيهه.

---

(38): البار، ينظر، خلق الإنسان بين الطّب والقرآن، ص: 132.

(39): سورة الطّارق، الآية: 5-9.

1-مرحلة الجَنانَة: هي كون الطّفل جنينًا في بطن أمه والجمع أجنّة كذا استعملها القرآن، ولقد فصّل الحقُّ سبحانه المرحلة تفصيلا حيث يقول:

[ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين] [40]، وفي حديث: «إنّ أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمّه أربعين يومًا نطفة...»[41] أو كما قال الصّادق المصدوق مدّة تسعة أشهر في الغالب فالجنين إذا وُلد فهو وليد وإن أتمّ سبعة أيّام فهو صديغ لأنّه لا يشتدّ صدغه إلى تمام السّبعة ومترعرع إذا بلغ العشرين، ومراهق ويافع إذا بلغ الحُلُم، والغلامُ هو من كان في الخامسة عشر سنة، وهذا موافق لما جاء به ابن الجوزي وعلماء المسلمين مخالف في بعضه لما جاء معتمدا على علم النفس الارتقائي والأخذ بالأول أهدى هدى وأقوم قيلا وأهدى سبيلا لمحجته الدامغة السّاطعة.

هذا الجانب الذي ذكره المؤلف، نعني -الجنانة أو المرحلة الجنينية- هو مرحلة الخلق الآخر التي ذكرها القرآن الكريم الذي يتضمن التصوير ونفخ الروح وهو الذي يبرز الصفة المتميزة لخلق الإنسان والقدرات المميزة له عن باقي المخلوقات، تلك الصورة التي خلقه الله عليها ليكون عبدا مستخلفا لله

---

(40): سورة المؤمنون، الآية: 12-13-14.

(41): النيسابوري، صحيح مسلم، الجزء الرّابع، كتاب القدر، باب كيفيّة خلق الآدمي، في بطن أمّه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، حديث رقم: 2643.

عز وجل، يقوم بواجب العبودية له كما أمره،وهذا الجانب لم يتعرض له ابن الجوزي، رغم أهمّيته التربوية، عند إعداد الإنسان لمهمة الاستخلاف والذي يبدو مما سبق في أثناء استشهاد الكاتب بابن الجوزي في حدود ما اطلعنا عليه ركّز على مراحل تكوين الجنين وأغفل التوجيهات والإرشادات التربوية الإسلامية للمرأة الحامل، من جميع جوانبها الصحية والنفسية والخلقية والاجتماعية، حتى تنجب ذرية صالحة سليمة وقوية لأن هذه الأمور تؤثر تأثيرا كبيرا في نمو الجنين وهو في بطن أمّه.

2-**مرحلة الطّفولة والصبا:** منذ الولادة حتى البلوغ، لا تكليف فيها حيث لا يعاقب ولا يؤثم ولكن لا بد من الرّدع والزّجر غير المؤذي ولا المبرّح بين ثنايا هذا الحقبة العمرية المهمّة، ولتستثمر هذه المرحلة للتعليم والتربية وتلقين العلوم بشتى أنواعها لا سِيّما حفظ كلام الله، ثمّ إنّ هذه المرحلة يصفها القرآن بأنّها مرحلة ضعف، وهذا ما نبّهت عليه التّشريعات الحديثة للطفولة حيث وسّعت النّطاق للمفهوم إلى مرحلة المراهقة، ويميّز القرآن فيها بين أربعة مراحل:

1-الرضاعة: وفصاله في عامين.

2-الطفل غير المستأذِن (غير المميز للعورة): من الفصال (الفطام) إلى الاستئذان (التمييز المبكر للعورة).

3-الاستئذان المقيّد(التميز): متى يعقل معنى الكشف والعورة؟

4-الاستئذان المطلق(بلوغ الحلم): مستوى من مستويات الكبار حيث الاستئذان على وجه الإطلاق، بل الاستئذان من عوامل النّضج و السلوك

الإنساني الرّاقي، ومن خصائص هذا الموسم بناءً على كلام ابن الجوزي استثمار ذهن الصبي بعد أن قرّر دور الوالدين، لأنّ أشراط النباهة وسمات أصحاب الهمم العالية تظهر على أصحابها ولو كانوا أطفالا، ومن خصائص هذه المرحلة الزواج إلى من راهق لأن الأب مرّ بنفس المراهقة فلا ينبغي أن يقع الولد فيما وقع فيه الوالد من عدم الزواج المبكّر، ويندر من آثر العلم على الزواج كأحمد بن حنبل الذي لم يتزوج إلا بعد الأربعين وشتّان!

بما أنّ المؤلف اعتمد كتاب ابن الجوزي دليلا وهاديا فإن هذه المرحلة يمكن أن تمثّل الموسم الأول في تقسيم ابن الجوزي لمواسم العمر، إذ اعتبر مرحلة الطفولة من المراحل الرئيسة في بناء وتشكيل شخصية الطفل الخُلقية والنفسية والعقلية والاجتماعية، وعليها تعتمد المراحل القادمة، وذلك أنّ الطفل في هذه المرحلة يقبل كلَّ ما يقال له من دون مناقشة أو جدال، لأنّ الأطفال يرون أنّ كلّ ما يقوله الكبار صحيحا وصادقا حتى لو كذبوا عليهم، لذلك تستغل هذه المرحلة في تلقين الأطفال أكبر قدر ممكن من مبادئ العقيدة والقيم والآداب والسلوكيات الصالحة، أما بعد ذلك من المراحل، فالأطفال الكبار يحتاجون إلى مناقشتهم وإقناعهم بما يُلقى إليهم، لذلك تحتاج التربية إلى جهد أكبر ووقت أطول، ومن هنا قال ابن الجوزي: «أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه، ونشأ عليه ومرن كان رده صعبا»[42]

(42): ينظر، ابن الجوزي، اللطائف والطب الروحاني، تحقيق: عبد القادر أحمد العطا، دار الطباعة المحمدية، بالأزهر، القاهرة، ص: 133.

الصحّة النّفسيّة للطّفل[43]: ينبغي التعامل مع الطّفل في مراحل نموّه الأولى بأحسن السبل مراعاة للبيئة المحيطة به وأسلوب معاملة الآباء مما يشّكل أهم العوامل في تشكيل شخصيته وتكوين اتجاهاته وميوله ونظرته للحياة كالهدوء والاستقرار العائلي حتى يكون قادرا على التكيّف مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه وقد ميّز النبي عليه الصّلاة والسّلام المراحل كالآتي:

- **مرحلة الوليد:** الأسبوع الأوّل من حياته.
- **مرحلة ما قبل التميز:** ما قبل سن السّادسة.
- **مرحلة التميز:** وهي التي تبدأ فيها تأديب الطّفل أو تعليمه المنظم.
- **مرحلة البلوغ الجنسي:** عندها التكليف بالعبادات.
- **مرحلة الرّشد:** مؤشّرها الزّواج.

وحتم لازم أمر الطفل بالصلاة على سبيل التّأديب والتهذيب حيث إنّه إذا أخلّ بشيء منها لا يجب عليه قضاؤها والطفل يرتبط ببيئته فإذا كانت ثرية وملائمة ساهمت في إثراء نفسيته وأخلاقه وتوافقه الاجتماعي، ولقد أكّد الباحثون أنّ الأنماط السلوكيّة الأسرية تحدد ما سوف يفعله الوليد في مقتبل حياته أو ما يستطيع أن يفعله لكي يشبع حاجياته فالأسرة تنمي وتكوّن شخصيته والمتفق عليه أنّ أول أساس للصحة النفسية إنما يستمد من العلاقة الحارّة الوثيقة الدّائمة التي تربط بين الطفل وأمه أو بمن يقوم

---

(43): مقتطفات من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود من خلال كتابه الصحة النفسية للطفل الفصل الثاني.

مقامها بصفة دائمة، فالانتماء أو التعلق النفسي يبدأ عن طريق الاحتضان لمدة سنة تقريبا إلى ما بعدها ثم يعوض هذه المحبة بالملاحقة بالسمع والبصر ولهذا يرى التربويون أنه لا بد للطفل من تعلقه بشيء يصرفه عن التعلق كدمية مثلا حتى يعتمد على نفسه وتكون شخصيته قوية واثقة غير مضطربة ولا مريضة واللّعب بالدمى أحد وسائل العلاج النّفسي التي تبعث في الطفل لا سِيّما البنت روح الأمومة والاطمئنان وتجنب عواقب كبت الغرائز، وأمّنا عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي عليه الصلاة والسلام كانت تلعب بالبنات أي الدمى وقت زواجها ولم ينكر عليها النبي عليه الصلاة والسّلام ذلك، كما أنّ الطفل يحتاج عوامل الأمن كالمحبة والقَبول والاستقرار حتى يكون سعيدا وينمو نموا انفعاليا ونفسيا سليمًا، ولقد كان هدي النبيّ عليه الصلاة والسلام واضحا بالنسبة لمعاملة الأطفال، مثال ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: "من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه وأن يحسن اسمه" رواه البيهقي، والمساواة في المعاملة، والرّحمة والرّأفة بالصّغير؛ لأن هذه الفترة من أهم الفترات التي تُساهم في تشكيل شخصيته وتحديد معالم سلوكه الاجتماعي والأسرة أكبر عامل فاعل فيها، ثمإنّ الطريقة الممنهجة في السنوات الأول لها دور أساسي في تكوين شخصية الطفل بصفة متكاملة كالرّعاية والاحتضان والحنان والرغبة والتوازن في المعاملة وتوافق الوالدين والجو الأسري المرح فإذا انخرم واحد من هذه العوامل توجّه الطفل إلى الغيرة والأنانية والعدوان والاضطراب بمختلف أشكاله؛ أي إلى المرض النفسي ولقد أثبت جون بولي أن اضطراب كثير من الجانحين يرجع في أساسه إلى العلاقات

المضطربة في الأسرة، والطفل دائما يبحث عن المثيرات بمجرد قدرته على الحركة ومنذ الشهر السابع يجب أن يوجه الطفل لتجنيبه الأخطار، فمن خلال التجارب يبدأ الطفل في التعلم والتدريب، وفترة الرضاع يشتق منها الاحتضان والحنان والشعور بالأمان وإذا كان حليب الأم وافرًا فإن الأفضل أن تمتد فترة إرضاعه والفطام يحتاج إلى لطف وفهم وصبر، فالطفل الذي يلقى التشجيع والرحمة والرأفة يكون أكثر نضجا واعتمادا على نفسه وهذا يسهم في اتجاهاته ونمو شخصيته وقدراته وخلاف ذلك فيما إذا اتصف الوالدان بالفظاظة العاتيّة والغلظة اللّئيمة القاسيّة ما يشعر الطفل بالحرمان، فالحماية والرّعاية التّسلّطيّة الزّائدة تضرّ الصّغير أكثر مما تنفعه، كالمنع والرّفض الدّائم والقسوة الصّارمة لكي يتحمّل مسؤوليات أكبر من طاقته، كما يمكن إعطاءه الحريّة في الملبس والمأكل والمأوى والحركة من دون تمييع ليتعود على مواجهة المواقف الصّعبة بصلابة ونضج والحاصل أنّ الطّفل مجموعة قدرات وإمكانات تنمو في الجوّ الذي توفره له، مع التعاهد والتوجيه الواعي الحنون كما يتأثر بالأب وبسلوكه واهتمامه وكذلك الأم وحنانها وتربيتها ومعاملتها.

مما سبق نجد ذكرا لوسائل وأساليب تربوية عدّة لتهذيب سلوك الطّفل، وتقويم اعوجاجه بصفة عامّة، دون تحديد لما يناسب كلّ مرحلة من مراحل النمو الإنساني، لأنه كما ذكر د.مقداد يالجن: «تختلف أساليب التربية والتعليم ووسائله بحسب مراحل النمو، فمثلا الأساليب المناسبة لمرحلة الطفولة، والوسائل المستعملة لعملية التعليم غير الأساليب

والوسائل التي ينبغي أن تستعمل في مرحلة المراهقة، إذ إنّها ينبغي أن تكون حسّية بقدر الإمكان في المرحلة الأولى وأن تكون عقلية إدراكية في المرحلة الثانية، وقد يقتضي الأمر الجمع بين الوسيلتين في بعض الموضوعات التعليمية». (44)

لذلك لا بد من تحديد الوسيلة المناسبة للمرحلة العمرية التي تتناسب مع خصائص نموها، وربما لم يحدد ابن الجوزي الأسلوب التربوي المناسب لكل مرحلة لأنه لم يكتب في جوانب التربية كتابات متخصصة كما يكتب المتخصصون في هذا العصر.

ثم تطرّق صاحب الكتاب إلى:

دفء العلاقة بين الأمّ والطّفل:

الأمّ هي التي تغذي ابنها بالغذاء النّفسي وهو الحبّ، الوالدان يقومان بدور هام في بلورة شخصيّة الطّفل مع اعتبار عامل البيئة الاجتماعية في تكوين هذه الشّخصيّة وتدخّل عامل الوراثة فالبيئة يأخذ منها حاجياته البيولوجية كالماء والهواء والغذاء والاستمرار في الحياة والاستزادة المعرفية كما يبحث على الاتزان الانفعالي لا سِيّما في العامين الأولين أما الثالث فيتدخل عامل الرفاق أو الأصدقاء واللعب واستلهام المبادئ والقيم التي تحكم بيئته الاجتماعيّة ويبدأ الاستقلال ويبزغ الأنا والشعور بالسلوك الحسن وغيره وما كان على أطفال صحابة رسول الله أبلغ منهاج يهتدى به في

(44): يالجن، د.مقداد، بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، الرياض، دار المريخ، طبعة 1408هـ،1987م، ص: 139-140.

حياة الطّفل كالذي قال للنبي عليه الصّلاة والسّلام أريد أن أكون ممن تشفع لهم يوم القيامة فأجاب النبي عليه الصّلاة والسّلام طلبه والتّاريخ الإسلامي حافل بنماذج رائدة لصبية وغلمان لهم شأن ومواقف عظيمة تنبئ عن حسن التربية الإسلاميّة لهم كمصاحبة ابن عباس للحبيب المصطفى وكما هو شأن موعظة لقمان لابنه.[45]

ويعضد كلام الدكتور عبد الباري محمد داود أنّ علاقة الوالدين بالطفل وكيفية معاملته تلعب دورا هاما في تكوين سلوكه وشخصيته، فالطفل الذي تقوم علاقته بأبويه على أساس قدر من الإشباع المناسب للحاجيات البيولوجية والنّفسية نتوقع له شخصية مستقبلية سليمة تتوفر لها دعائم الاتزان الانفعالي والقدرة على التوافق والتعاون مع الآخرين وعلى العكس من ذلك عندما تكون العلاقة بين الوالدين والطفل قائمة على الإفراط في الحب والتدليل والتصاق الطّفل بأبويه فإنها ستفرز شخصية اتكالية مفرطة وأنانية تتميز بضعف الثقة في النفس وعدم القدرة على التوافق والتعاون مع الآخرين، أمّا إذا كانت علاقة الأبوين بالطفل تقوم على الصّرامة والقسوة أو عدم إشعار الطّفل بالحب، فإن ذلك يجعل الطفل ميالا للشرّ والإيذاء ويجعله يميل للتشاؤم أو عدم المبالاة أو السلبية أو العدوان وقد يصب الطفل عدوانه على الأسرة ذاتها أو على المجتمع المدرسي، وكذلك تؤثّر اتجاهات الوالدين على الأطفال من حيث تفضيلهما جنسا على

(45): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية للطفل.

آخر كتفضيلهما الذكور على الإناث أو تمييزهما طفلا على آخر لسمات أو أخرى يتميز بها على إخوته،كذلك التذبذب في المعاملة كأن يكون الأب صارما قاسيا والأم صفوحة متسامحة أو مغالية في التدليل.[46]

خلاصة الفصل الثاني:

تناول الدكتور عبد الباري محمد داود في هذا الفصل والموسوم بـ: النّماء النفسي للطفل رؤية تمهيدية أبا البشرية آدم عليه السلام وأنه أول البشر وأصلهم وهذا فيه الرد على النظرية الداروينية ومن نحا نحوها ثم ثنّى بذكر أطوار الإنسان التي يمرّ بها منذ خلقه من طين إلى أن صار خلقا آخر ومدى عناية الله به في أثناء إخراجه طفلا لقوله تعالى: **[ثم نخرجكم طفلا]** وإلقاء المسؤولية على الوالدين والمجتمع وعليه أيضا بعد الولادة لقوله: "ثم لتبلغوا أشدكم" واعتماده آراء ابن الجوزي المستنبطة من وحي الرحمن وبيّن أنّ المراد بالأطوار المراحل الترابية ثم الطينية ثم التكوينية ومن ثم إلى النطفة والعلقة والمضغة ونفخ الروح وبعد ذلك درج على الغاية من خلق الإنسان ومرحلتي نمو الطفل نعني الجنانة والطفولة والصبا وثلّث بالتنويه على بعض آراء ابن الجوزي ونظرياته حول الصحة النفسية للطفل وتربية الصبي وتكوين شخصيته.

---

(46): الدكتور هواري أحمد مجيد، الأمراض النفسية، الطبعة الأولى 2016، الجنادرية للنشر والتوزيع، ص: 14-15.

الفصل الثالث

في الصّحة النفسية للطفل

***

تناول الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه **الصحة النفسيّة لطفل** في الفصل الثالث موضوع الطّفولة وشخصيّة الإنسان وقال: إنّ العوامل المحدّدة للشخصية يمكن أن تصنف إلى مجموعتين رئيستين:

1. **عوامل وراثيّة:** وهي عوامل منبعثة من تكوين الفرد ذاته كالتكوين البدني والعصبي والغدّي.
2. **عوامل بيئيّة:** وهي عوامل منبعثة من البيئة الاجتماعيّة والثّقافيّة كخبرات الطّفل وطريقة معاملة الوالدين والثقافات الفرعيّة والطبقات الاجتماعيّة وجماعة الرّفاق والأصدقاء.

ثم إنّ علماء النّفس حينما يشرعون في دراسة الشخصية يركزون كل اهتمامهم على الجانب الجسمي البيولوجي فقط غافلين مهملين للجانب الرّوحي وأثره عليها، وما كان حجّتهم إلاّ أنّهم تبنّوا المنهج العلمي في البحث الذي يقتصر على الملاحظة في المختبرات العلميّة فما اسطاعوا فهم الشخصيّة ببراعة وما استطاعوا علاج اضطرابها وتقلباتها.

لأنّ الإنسان خلقه الله سبحانه وتعالى من جسم كثيف وروح شفافة له شأنه أنزله الله إيّاه، فجعله سيّداً للكون، عبدًا لله وحده وكل هذا بالانتساب لله جلّ وعلا وارتباطه بما في الوجود، كما أنّ الصّحة النّفسية صلتها وثيقة بعلم

النّفس الارتقائي الذي يتناول مراحل الإنسان من الإخصاب إلى الشّيخوخة وما يعتري كل مرحلة من تغيرات من جميع النّواحي لأن التوافق يكون بإشباع كل مرحلة بصفة متوازنة من غير إفراط ولا تفريط لا سِيّما الطفولة.

يتأثر النّمو في جميع مظاهره الجسمية والعقليّة والانفعاليّة والاجتماعيّة بعدّة عوامل:

1) الفطرة أو الوراثة: وهي الصّفات التي يكتسبها الطّفل من والديه وأجداده.

2) البيئة التي تهيمن على الفرد سواء بيئة الرّحم وهو جنين أو بعد ولادته.

3) عوامل أخرى كالغذاء والتّكوين العضوي... إلخ. [47]

يتبادر إلى الذهن من خلال عنوان الكتاب وحتى الفصل الثالث أن المؤلّف سينطلق من تعريف الصحة النّفسية، غير أنّه شرع في الشّخصية وما يتعلّق بها ولو أنّه بيّن مفهوم الصّحة النفسية لكان خيرا للكتاب وأقوم، ولقد تراكمت في السنوات الأخيرة معلومات مفيدة حول أفضل الوسائل للوصول إلى الصّحة النفسية للطفل، وعلاج الاضطرابات النفسية لديه، وقد حاولنا –بعون الله- أن ننتقي من المعلومات المتوفرة ما يتماشى مع ثقافتنا ويساعدنا في تربية أبنائنا وبناتنا بشكل صحيح، ولا يعتقد أحد أن عملية التربية عملية سهلة، وإنما هي دائما تحتاج إلى جهد وتواجه مشكلات وصعوبات، ونحن هنا

---

(47): مقتطفات من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الثالث.

نحاول أن يكون الجهد المبذول على الطريق الصحيح، وفي هذا الصدد نواجه سؤالا بالغ الأهميّة: ما الصحة النّفسية؟ وكيف يكون الإنسان الذي يملك الصحة النفسية؟

قد تكون الإجابة ببساطة هي أن الإنسان الخالي من الأمراض النّفسيّة هو الإنسان الصّحيح نفسياً لكن هذا التعريف للصّحة النّفسيّة، لا يؤدّي الغرض لأن هناك بعض الأشخاص لا يعانون من أي مرض نفسي لكنّ أداءهم في الحياة أقلُّ مما هو متوقع لآمالهم، فحركتهم في الحياة وتكيفهم الاجتماعي وإبداعاتهم أقل مما هو متوقّع، فلا نستطيع أن نقول: إنّ شخصًا ما صحيح نفسيا لمجرد كونه خالٍ من الأمراض النّفسيّة بالمعنى الإكلينيكي لها، إذا فهناك تعريف أكبر وأشمل وأوسع للصّحة النّفسيّة.

واختصارا لجهود كثيرة وصل العلماء إلى أنّ الصّحة النفسيّة هي مفهوم إيجابي متعدد المستويات، يكون فيه الإنسانُ صحيحا على المستوى الجسدي ثمّ على المستوى النّفسي، ثمّ على المستوى الاجتماعي، ثمّ على المستوى الرّوحي، إذًا فهو مفهوم متعدّد المستويات لا بد أن يكون في حالة توازن ما بين إشباع هذه المستويات وتنشيطها فلو بالغ أحدهم في إشباع الجانب الجسماني على حساب الجانب النّفسي أو على حساب الجانب الروحي، فيكون بالتالي قد أخلّ بالتوازن ويصبح غيرَ صحيح نفسيا. [48]

(48): دكتور محمد المهدي، الصحة النفسية للطفل رؤية واقعية من العيادة، كلية طب دمياط، جامعة الأزهر، ص: 10-11.

ولعلّ الكاتب يريد المعنى من المنظور الإسلامي للصّحة النفسية: بأنها الأثر المترتب على تحقيق العبودية لله تعالى، والتي توجِد لدى الفرد التوازن في علاقته مع نفسه، والتوافق في علاقاته مع الآخرين، الأمر الذي يولّد لديه المناعة والقدرة على مواجهة مطالب الحياة وقبولها، والعيش فيها بسعادة ما أمكن، وفي هذا الجانب لا بدّ من توضيح لمعنى المرض النّفسي، لأن الصّحة النفسية والمرض النّفسي تعريفان لا يُعرف أحدهما إلا بالرجوع إلى الآخر، وبالتالي يمكن تعريف المرض النّفسي بأنّه: اضطراب وظيفي في الشّخصية نفسي المنشأ، يبدو في صورة أعراض نفسية وجسمية مختلفة، ويؤثّر في سلوك الشّخص فيعوق توافقه النّفسي، ويعوقه عن ممارسة حياته السوية في المجتمع الذي يعيش فيه.[49]

أمّا من ناحية العوامل المؤثرة في الشّخصيّة، فلا بد كذلك من حدّها بذكر مفهوم لها فهي مجموعة من الصفات الثابتة والدّوافع الذاتية الباطنية التي بواسطتها يتميز الفرد عن غيره، ويمكن معرفة الموقعية الحقيقية والقيمة الذاتية له، والحقيقة أن لكل فرد من الأفراد شخصية تميزه عن غيره، لأن لكل منهم في كيانه فردية تميزه عن الآخرين وكيفيات خاصة من حيث الخصائص الطبيعية والتربوية وعند المقارنة بين شخصية وأخرى نجد بينهما اختلافًا ظاهرا رغم أن الأصول التي تتحكم في الشّخصية وتكاملها

(49): د.محمد أحمد عرسان الزعبي، تطوير مقياس للصّحة النّفسيّة والكشف عن العوامل المؤثّرة فيها من منظور تربوي إسلامي، كلية الشريعة والدّراسات الإسلامية، جامعة اليرموك بالأردن، 1438هـ،2017م، ص: 10.

أصول واحدة، ولكنها لا تأتي بنفس النتيجة عند التطبيق على فردين، وقطعا أنّ الصفات الأخلاقية التي تتصف بالخير والشر لها الأثر الأكبر في بناء الشخصية والحقيقة أن سجايا الإنسان ونزعته هي شخصيته التي تدرس من خلال الأخلاق.

ولا ريب أن هناك مؤثرات وعوامل هامّة تؤثر في بناء الشخصية وصنع الأخلاق والسّمات الإنسانية وقد حدّدها بعض العلماء بثلاثة عوامل هي: الأسرة، المدرسة، والمحيط الاجتماعي وقد أضاف بعضهم العامل الوراثي، وفي علم النفس الحديث يرونه عاملًا مهما وأساسيا في تكوين شخصية الفرد، حتى وصل بهم القول إلى: أن العامل المجهول يستطيع أن يغير مجرى العوامل الأخرى فيصنع من الإنسان شخصية جديدة غير متوقعة، وحتما أن جميع العوامل المذكورة أعلاه لها الأثر البالغ في بناء شخصية الإنسان ونموّها وتكاملها وخصوصا في مرحلة الطفولة وما بعدها، إن العوامل الاجتماعية وآثار المحيط والأطر الثقافية والتربوية والوراثية تسهم جميعها في بناء الشخصية وتطورها وتقدمها وأحيانا قد تؤثر سلبا إن كانت دون المستوى المطلوب، **يقول (مان) في علم النفس:** «إن لآثار المحيط في بناء شخصية أفراد البشر أهمية كبرى فلو كان أحدنا مولودا بين قبيلة من قبائل الإسكيمو لكانت له شخصية متمايزة كل التمايز عمّا له اليوم من شخصية ولم نكن نختلف عما نحن عليه اليومَ في الملبس والمسكن والمنطق والمطعم. بل كانت تصوراتنا عن أنفسنا وعن العالم حولنا وعن موقعنا في هذا العالم تصورات أخرى مختلفة تماما وقد أكد علماء النفس على أهمية

الأطر الثقافية والاجتماعية في تكوين الشخصية، ليست علاقة الفرد بثقافة أخرى ومجتمع آخر كانت تصنع منه شخصية أخرى فحسب، بل حتى أن يكون الفرد من أهل أي ناحية من بلاده، ومترعرعًا في أية أسرة، وأن يكون أبواه معه أو منفصلين عنه وكيف يعيشان، وأية مدرسة كانت تربيه وأي نوع من أترابه كانوا يعاشرونه وماذا رأى وماذا سمع لكل هذه الأمور أثر يعتدّ به في بناء شخصيته، إن أثر العوامل الاجتماعية في تكوين الطفل تبدأ منذ ميلاده، ويستمر هذا الأثر ما دام حيًّا».[50]

ومن خلال ما سبق يشير الدكتور عبد الباري محمد داود إلى كلام الدكتور محمد عثمان نجاتي في كتابه القرآن وعلم النّفس وهو الذي يقول في نفس الكتاب والسّياق: «إننا لا نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهما واضحا بدون أن نفهم جميع العوامل المحددة للشخصية، سواء كانت بيولوجية أو روحية أو اجتماعية أو ثقافية، أما الاقتصار على دراسة العوامل الجسمية البيولوجية والعوامل الاجتماعية الثقافية فقط، وإهمال أثر الجانب الروحي في الإنسان فإن من شأن ذلك أن يعطينا صورة غير واضحة وغير دقيقة للشخصية».[51]

ولعلّ لعلماء النّفس المحدثين الذين يتبعون في بحوثهم المنهج الموضوعي التجريبي بعض العذر في تعرضهم للجانب الروحي في الإنسان،

---

(50): صالح عبد الرزاق الخرسان، تربية الطّفل وإشراقاتها التكاملية، ص: 196-107.

(51): القرآن وعلم النّفس، الدكتور محمد عثمان نجاتي، دار الشّروق، 1421هـ، 2001م، ص: 225.

وذلك لأنهم لا يعرفون كيف يتناولونه بالبحث العلمي الموضوعي غير أن عجزهم عن تناول الجانب الروحي في الإنسان بالبحث العلمي الموضوعي لا ينبغي أن يؤدي بهم إلى إغفال ذلك الجانب الروحي من الشخصية إغفالا تاما في محاولتهم فهم شخصية الإنسان وفهم أسباب سلوكه سواء في سوائه أو انحرافه، إن إغفال علماء النفس المحدثين للجانب الروحي من الإنسان في دراستهم للشخصية قد أدّى إلى قصور واضح في فهمهم للإنسان، وفي محاولة معرفتهم للعوامل المحدّدة للشخصية السوية وغير السوية، كما أدّى ذلك أيضا إلى عدم اهتدائهم إلى الطريقة المثلى في العلاج النفسي لاضطرابات الشخصيّة وقد لاحظ إيريك فروم المحلّل النّفسي قصور علم النّفس الحديث وعجزه عن فهم الإنسان فهما صحيحا بسبب إهماله دراسة الجانب الروحي في الإنسان، يبدو ذلك واضحا من قوله: «...إنّ التقليد الذي يعدّ السيكولوجيا دراسة لروح الإنسان دراسة تهتم بفضائله وسعادته -هذا التقليد نبذ تماما وأصبح علم النفس الأكاديمي في محاولته لمحاكاة العلوم الطبيعية والأساليب المعملية في الوزن والحساب-أصبح هذا العلم يعالج كلّ شيء ما عدا الروح إذ حاول هذا العلم أن يفهم مظاهر الإنسان التي يمكن فحصها في المعمل، وزعم أن الشعور وأحكام القيمة ومعرفة الخير والشر ما هي إلا تصورات ميتافيزيقية تقع خارج مشكلات علم النفس وكان اهتمامه ينصب في أغلب الأحيان على مشكلات تافهة تتماشى مع منهج علمي مزعوم، وذلك بدلا من أن يضع مناهج جديدة لدراسة مشكلات الإنسان الهامة وهكذا أصبح علم النفس علما يفتقر إلى موضوعه الرئيسي وهو الروح، وكان

معنيا بالميكانيزمات وتكوينات ردود الأفعال والغرائز دون أن يعنى بالظواهر الإنسانية المميزة أشد التميز للإنسان كالحب والعقل والشعور والقيم».[52] لا يمكن فهم شخصيّة الإنسان فهما دقيقا إلا بالنّظر إلى الكيان الإنساني المتكامل الممتزج من عنصري المادة والرّوح، لأنّه أفضل مخلوق مميز بالعقل عن سائر الحيوان حتى إنّ المناطقة يَحدّونه بأنّه حيوان ناطق ثم إن صفة الحيوانيّة تستلزم الشهوات، كشهوتي البطن والفرج حيث الزواج وإنجاب الذريّة بالطريقة المشروعة والميولات والرّغبات فهو في الحقيقة ضعيف من ناحية الخلقة ومن ناحية مواجهة الأزمات ولا بد من تحكيم منة العقل حتى لا تزل به القدم بعد ثبوتها ويذوق السوء فهو لا ينطق بالشيء حتى يفكر ويتكلم بالصدق والحقّ أو بضدّهما طوعًا لا كرها والفطرة هي الخِلقة التي ولد عليها الإنسان وقت ولادته وتعني الإسلام وتعني هبة الوراثة إلى الإنسان كما جاء في موسوعة علم النّفس والتحليل النّفسي، والوراثة كل ما يكتسبه الإنسان عن طريق الكروموزومات من الصفات الجسميّة والنّفسيّة، والنّحيزة هي الطّبع والطبيعة وأصلها النّحز بمعنى الدفع حيث انتهى الأمر بالدارسين في علم النّفس إلى تطابق الفطرة الإنسانيّة أو الطّبيعة البشريّة بأن تطابقت أو كادت مع الطّبيعة الحيوانيّة، كما يقصد بالوراثة اكتساب الصفات الوراثية عن طريق الكروموزومات أو الجينات من جيل لأخر للمحافظة على النّوع فلا يلد الإنسان إلا إنسانا ولا يلد الفأر إلاّ فأرًا ولذلك

(52): بواسطة المرجع السّابق، ص: 224 -225.

قيل: "إنّ الولدَ سرُّ أبيه"، "فمن شابه أبيه فما ظلم" ولقد أثبتت الأبحاث العلميّة أنّ الطفل يرث نصف الصفات الوراثية من والديه قد تتغلب صفات الأم والأب ويرث الطفل بعض صفاته من أجداده المباشرين... وهكذا.[53]

وحينما يتحقق التوازن بين البدن والروح تتحقق ذاتية الإنسان في صورتها الحقيقية الكاملة والتي تمثلت في شخصية النبي صلوات الله عليه وسلامه،الذي توازنت فيه القوة الروحية الشفافة،والحيوية الجسمية الفياضة فكان يعبد ربه حقّ عبادته في صفاء وخشوع كاملين، كما كان يعيش حياته البشرية كغيره من البشر يشبع حاجاته البدنية في الحدود التي رسمها الشرع، لذلك فهو يمثل الإنسان الكامل والشخصية الإنسانية النموذجية الكاملة التي توازنت فيها جميع القوى الإنسانية البدنية منها والروحية.[54]

والتوازن في الشخصية الإنسانية بين البدن والروح ليس إلا مثالا للتوازن الموجود في الكون كله، فقد خلق الله تعالى كل شيء بمقدار وميزان، فكرة الاتزان الحيوي ووظيفة الدوافع الفطرية في إبقاء البدن في حالة ثابتة من الاتزان هي أمر ضروري لحفظ الذات والبقاء، غير أن الاتزان في الإنسان ليس قصرا على اتزانه البيولوجي فقط وإنما يشمل أيضا شخصيته بأكملها، إنّه يشمل التوازن بين البدن والروح.[55]

---

(53): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الثالث تقتضيه طبيعة الدراسة.

(54): محمد قطب، في النفس والمجتمع، ط: 2، القاهرة، مكتبة وهبة 1962، ص: 62-63.

(55): ينظر، محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص: 236.

ثم تطرّق المؤلّف الدكتور عبدا الباري محمد داود إلى الفرق بين الغرائز والشّهوات:

ذكر أنّه من الخطأ الفادح إطلاق الغرائز على الشّهوات وإذا رددنا ذلك إلى اللّغة العربية ألفينا خلاف ذلك: الغريزة: الطبيعة، وجمعها: غرائز،أمّا الشّهوات: جمع شهوة وهي اشتياق النّفس إلى الشيء، **فالأولى:** طبيعة في البهائم جبلوا عليها أما **الثانية:** فالاشتياق والحب والرغبة إلى الشيء من خصائص الإنسان لا يكون إلا من عاقل وقد تكون مباحة وقد تكون محرّمة وقد يؤجر المرء عليها بالزواج، فلا يقال غريزة التدين ولا غريزة حب البقاء بل هما فطرتان فطره الله عليهما وليست غريزة عمياء عجماء بهماء، فهو يملك صفات حيوانيّة لإشباع الجسم كحفظ الذات وبقاء النّوع وصفات ملائكيّة لإشباع الرّوح والتطلع إلى الباري سبحانه وتعالى، ومنه ففي طبيعة الإنسان استعداد وميل للخير والشر إما للاستمتاع بالملذّات الجسميّة وإما للتسامي إلى الفضيلة والسكينة الروحية ثم قيض الله للإنسان أدوات المعرفة كالعينين واللّسان والشّفتين وألهمه فجور نفسه وتقواها وهداه النجدين ليستخدمها في شقّ طريقه في الحياة وينمو وينضج فالفطرة مرتبطة بالوراثة كما أنّ مفهوم الخبرة يرتبط بالبيئة وما يستثيره فيها،فالوراثة لها أثر بالغ في الاستعدادات العقليّة دون إهمال جانب الخبرة أي التعلم فإنه يكسب طاقة إضافية، فالصحة النفسية بالتربية الإسلاميّة تحفظ الفطرة الصافية النقية وتبني الشخصية من الولادة إلى الوفاة

فالطفل بتفاعل العوامل الوراثية والبيئية يؤثر ويتأثر حتى يصبح نسيجا نفسيا اجتماعيا يحيا في إطاره ومن خلاله.[56]

وهذا ما أشار إليه الدكتور محمّد عثمان نجاتي بالصراع النّفسي حيث قال: «إنّ الإنسان يتضمّن في شخصيته صفات الحيوان المتمثّلة في الحاجات البدنيّة التي يجب إشباعها من أجل حفظ الذّات وبقاء النّوع، كما يتضمّن أيضًا صفات الملائكة المتمثّلة في تشوقه الرّوحي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به وعبادته وتسبيحه وقد يحدث بين هذين الجانبين من شخصيّة الإنسان صراعٌ، فتجذبه أحيانا حاجاته وشهواته البدنية، وتجذبه أحيانا أخرى حاجاته وأشواقه الروحية، ويشعر الإنسان بالصّراع في نفسه بين هذين الجانبين من شخصيته، وقد أشار القرآن الكريم لهذا الصراع بين المادي والروحي في مواضع كثيرة ولعل مشيئة الله تعالى اقتضت أيضا أن يكون أسلوب الإنسان في حلّ هذا الصراع هو الاختبار الحقيقي والأساسي الذي وضعه الله تعالى للإنسان في هذه الحياة.فمن استطاع أن يوفق بين الجانبين المادّي والرّوحي في شخصيته، وأن يحقق بينهما أكبر قدر مستطاع من التناسق والتوازن، فقد نجح في هذا الاختبار واستحق أن يُثاب على ذلك بالسّعادة في الدّنيا والآخرة وأمّا من انساق وراء شهواته البدنية

(56): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الثالث تقتضيه طبيعة الدراسة.

وأغفل المطالب الروحية فقد فشل في هذا الاختبار، واستحق أن يجازى على ذلك بالشّقاء في الدنيا وفي الآخرة». [57]

رعاية الإسلام للطفل منذ اللّحظة الأولى لميلاده:

تُستحب بشارة الوالد بما ولد وتهنئته والدعاء له ولوالديه بالخير، والعقيقة التي سنّها الرسول عليه الصّلاة والسّلام في اليوم السّابع وحلق شعره وانتقاء أحسن الأسماء له، فيتعرض الوليد لصدمة الميلاد **Trauma** (أي الصّدمة النّفسيّة التي يقال أنّ الوليد يشعر بها نتيجة الانفصال عن الأم بالولادة بالرغم من عدم الدليل العلمي عليها) للانتقال من الحياة والدفء في الرّحم إلى بيئة جديدة، فلا بد أن تُجتاز المراحل خلال السنوات الثلاث الأول من الأمومة بنجاح من ولادة نفسية وفطام نفسي وتفاعل إيجابي، والإشباع من طرف الأب والشهامة والحنان وعدم الحرمان التي يشب عليها، فعطاء الوالدين من فيض نفسي إيجابي سرّ إلهي يشعر كأنه في واحة عامرة بالودّ والنّعيم والمحبة والرّحمة وهذا هدي خاتم الأنبياء والمرسلين مع الأطفال ولقد بينت الدّراسة الإكلينيكية أن من خلال هذه الشمائل يتخرج الأصحاء الأسوياء من الرّاشدين والأطفال، وحتى الذين يتمتعون بالروح القيادية يتفيؤون ظلال الأم وحنانها كما يرى العالم الفرنسي هبرت مونتنا جنر، فالطفل في السنوات الأولى مرن قابل للتشكل فهنا يجب التوجيه الحسن وتشكيل شخصيته وتحصيل اتزانه في الحياة بفضل البيئة الاجتماعية

(57): ينظر، محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص: 227-228-229.

السّوية الإيجابية المفعمة بالحب والود والاحترام فيكون صفحة بيضاء لكن التجارب وتراكم الخبرات السابقة يترك أثرا وخطا بارزا في صفحته لذا ينبغي أن نعنى بها، ولكن كل شيء بقدر كما أن النقصان في الرعاية والحب والحنان يسلبه صحته النفسية فإن الإفراط فيها تفضي إلى الترهل البدني والنفسي والفكري فلا بد من الضبط.[58]

أشار صاحب الكتاب إلى رعاية الطفل منذ اللحظة الأولى من ميلاده والحق أنّ الإسلام اعتنى بالطفل حتى قبل إنجابه وخلاصة المنهج الإسلامي في رعاية الطفولة كما يلي:

1. اختيار الأم المتديّنة، ذات الحسب والنّسب لأنّه حقّ من حقوق الطفل.
2. الرّعاية الكاملة للزّوجة في أثناء حملها، وهذا واجب على الزّوج.
3. اختيار أحبّ الأسماء للوليد.
4. الآذان في أذن الولد اليمنى بصوت ضعيف، ثمّ إقامة الصلاة في اليسرى.
5. تحنيك الطّفل في سقف حلقه بشيء حلو كالتمر اقتداءً برسول الله.
6. أن يعقّ عن الوليد يوم سابعه، وأن يقصّ شعره ويتصّدق بزنته ذهبا على الفقراء.

---

(58): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الثالث تقتضيه طبيعة الدراسة.

7. إرضاع الأمّ لطفلها من لبنها الطّبيعي لمصلحة الطّرفين.

8. تجنب الطفل الرضاعة من غير أمّه لما فيه من الفساد والإفساد للطّفل.

9. الأبناء نعمة وهبة من المولى، وعلى الوالدين أن يحسنا رعاية أبنائهما.

10. وجوب المساواة بين الأبناء في كلّ شيء، حتّى لا يحدث بينهما نفور.

11. تأديب الأطفال على حبّ القرآن الكريم وحب رسول الله وحب آل بيته وحب الصالحين.

12. الختان للطّفل لأنه رأس الفطرة وشعار الإسلام وعنوان الشريعة.

13. انتشار روح المحبة والمودة على جو الأسرة حتى لا يؤدّي نزاع الأبوين إلى انحراف الطّفل.

14. عدم ترك الأطفال للخدم كي يقوموا على تربيتهم لما يترتب عليه من المفاسد.

15. الإسلام يحمل الأبوين مسؤولية تربية الأولاد، وذلك بأن يكونا قدوة صالحة لهم.

16. اختيار الرفقة الصّالحة للولد، حتى يكتسب منهم كل خلق كريم وأدب رفيع وعادات فاضلة.

17. تشويق الولد إلى أشرف الكسب، وإلى المطالعة الواعية وتوجيههم الوجهة السليمة.

18. تكوين مكتبة خاصّة به.

19. تدريب الطّفل على وسائل النّظافة حسب المنهج الإسلامي المرسوم.

20. تقديم الأغذية المؤثّرة في بناء جسمه وعقله حتى يصبح عضوا نافعا لنفسه ولمجتمعه.[59]

ثمّ نبّه الدكتور عبد الباري محمد داود إلى أمر مهم جدا وهو أنّ:

الحب هو الغذاء النّفسي للطّفل:

الطفل كائن منطقي يستجيب إذا لقي الاحترام وتم التعامل معه على مستوى إنسانيته يحتاج إلى التنشئة النفسية السلمية لكن مع توافر عنصر النظام، كما يتبع الوالدان أسلوب المكافأة بعيدا عن الشطط والإفزاع والقهر والضرب الذي لا يولّد إلا النّفور والسّوء، فالطفل أحوج إلى أن يكون إليه الحب غير المشروط، فيكتسب القيم الأخلاقية والروحية من والديه فيعتريه الرقيب النفسي الموجه في غيابهما كأنه سلطة داخلية ولعل هذا ما يعرف بالضمير أو الأنا الأعلى إذ تعد الركيزة الأساسية للتكيف والاستقرار النفسي السليم والشعور بالمحبة وعدم التوحد، فحب الوالدين هو بيت القصيد، غياب الأم أو فقدانها يشعر بفقدان السّند والضياع والشقاء والقلق، ولقد أجمع أهل الاختصاص أنّ تقبّل الطفل من طرف الوالدين يساهم في النمو السليم له، ونبذه يؤدي إلى سوء توافقه، فالتقبّل محبة

(59): الدكتور محمد محمود عبد الإله، عناية الإسلام بالطفولة حتى قبل الإنجاب، أمواج للنشر والتوزيع، ص: 47-48.

أصيلة، وضرورة تلبية حاجياته الفيزيولوجية والسيكولوجية ليكون قادرا على التكيّف.[60]

ما أشار إليه الدكتور من أهم احتياجات النمو النّفسي لدى الطّفل، ومن هنا فإنّه ليس بخافٍ ما للأسرة من دورٍ في حياة الأطفال، ومدى تأثيرها في تَنشئتهم عقليًّا وانفعاليًّا، واجتماعيًّا وسلوكيًّا، فهي أولى المصادر التي تلبّي احتياجاتهم على اختلافها، وأهمُّ البيئات التي يبدؤون فيها باكتساب الخِبرات وتكوين القِيَم من خلال المؤثِّرات التي يتعرَّضون لها خلال تفاعُلهم معها، فيتعلَّمون اللغة، ويتدرَّبون على أساليب التعبير وأشكال التواصُل وأنماط السلوك؛ مما يجعل الأسرةَ مركز التأثير الأكثر عُمقًا في النموِّ العام للأطفال، ومصدرَ كلِّ تربية يتأثَّرون بها.

إنَّ حاجة الطفل للحب هي كحاجته للطعام والشراب وهو أشدُّ حاجة له عندما لا يتمتَّع بالصفات التي تجعله محبوبًا، فالحب للطفل ضرورة تربويَّة أوَّليَّة فيه، يتطوَّر تطوُّرًا طبيعيًّا، عقليًّا وعاطفيًّا واجتماعيًّا إنه ليس ترفًا أو تَسلية أو مُتعة، كما أنه ليس دعوة باللسان أو عصبيَّة، إنه سلوك يتَّسم بالود واللطف والرِّقة، ويَنمُّ عن الاحترام والتفهُّم والتقدير.[61] ولقد صنّف عالِم النفس **"أبراهام ماسلو"** احتياجات الإنسان

---

(60): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الثالث تقتضيه طبيعة الدراسة.

(61): "د.نبيه غبرة"،العربي، مجلّة شهريّة قافيّة مصوّرة، تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد414، ص: 169.

أو كما أسماها بـ: **(هرم الاحتياجات)** بقوله: إنَّ هناك احتياجات جسمانية بيولوجيَّة تمثِّل قاعدة الهرم، لا بد أن تُشبع أولاً، يَليها احتياجٌ للأمن والاستقرار واحتياج للانتماء؛ الانتماء إلى الأسرة والبلد والإنسانية، يَليه احتياج للحب، بمعنى أن يكونَ الإنسان قادرًا على أن يحِب ويُحَب، يَليه احتياج للتقدير يتمثَّل في إحساسه أنَّ الناس يُقَدِّرونه كشخص، ويُقدرون ما يفعله؛ ليصل في آخر الهرم إلى الاحتياج لتحقيق الذات، ويُضيف إليها "**د.محمد المهدي**" احتياجًا بالغَ الأهميَّة وهو التواصل الرُّوحي، فالإنسان لَدَيه احتياج لهذا التواصل مع الله -عزَّ وجل - مع الكون، مع السماء، مع الغيب، وهذا الاحتياج يُمكن فَهْمه بشكلٍ عملي وعلمي موضوعي من المعابد المُنتشرة في كل أنحاء العالم على حدِّ تعبيره.[62]

من بعد ذلك تطرّق الدكتور إلى:

حاجات الطفل ودوافع السّلوك:

ذكر بأنّ الحوج: السلامة، حوجا لك أي سلامة لك (القاموس المحيط) أمّا الاحتياج: الفقر فهي بهذا المعنى شعور بالنّقص أو فقد الشيء في تحصيله ضرورة لاستمرار حياته دفعا للخطر وجلبا لحصول المرغوب المطلوب وهي نوعان: **حاجة حسيّة:** كالطعام والشراب والإيواء، **وحاجة نفسيّة:** كالأمن والتقبُّل والاستقرار، قال عليه الصلاة والسّلام: "من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته"، فهي أحد دوافع السّلوك بمثابة قوة دافعة تحمل الفرد على

(62): د.محمد عبد الفتّاح المهدي الصّحة النّفسيّة للطّفل، مكتبة الأنجلو المصريّة، د، استشاري الطب النّفسي، وصاحب العديد من الإصدارات في مجال هذا العلم.

العمل والنّشاط وبذل المجهود الحركي اللاّزم لعمليّة الإشباع إقامة للتّوازن العضوي والاستقرار النّفسي وهذا بالاشتراك مع البواعث والحوافز والدافع أخذًا وعطاءً فالطفل أحوج إلى تهيئة الجوّ العاطفي والانفعالي لدعم نمو شخصيته إضافة إلى المتطلّبات الفسيولوجية.

الحاجات النّفسيّة للطّفل:

1) الأمن العاطفي: الشعور بالحب والرّغبة والإعزاز من الوالدين وغيرهما وتتعهدهم بالنّماء حتى يصير أمانًا نفسيا أو عاطفيا وهو شرط أساسي لانتظام حياة الطّفل النّفسيّة واستقرار مشاعره وبدونه يحال بينه وبين النّموين العقلي والنّفسي السّليمين وتأثير هذا يتعدّى للآخرين يعامل الناس بحسن الظن لا بالكراهيّة والشّك والعدوانيّة ولا متهيّبا للاجتماع بهم ولا متخوّفا منهم، فلا تُضارّ العاطفة بشيء يعيقها أو يسلبها كائنا من كان، فينبغي الابتعاد عن ترهيب الطّفل ودَعّه ونهره بل المساواة والعدل ميزان الصّحة النّفسيّة مع أسلوب الحزم والعزم فالثّقة المتبادلة بين الوالدين والأطفال تعتبر مصدراً هامّا للشعور بالأمن وعدم التقلّب كما قال ابن سينا: (فلا يؤخذ الوليد أوّلا بالعنف وإنّما بالتلطف وكذلك ابن خلدون وغيرهم) وذهب إلى ذلك الغزالي أي من الحكمة مراعاة حال الطّفل، فالحاصل أنّه يجب التأسي برسول الله عليه أفضل الصّلاة والسّلام وأن تعتلج مشاعر الرّحمة والعواطف القلبيّة في نفوس المربين والأقرب فالأقرب من الطّفل، كما أنّ التفاعلات الأسريّة تلعب دورًا هامّا في تشكيل حياة الطّفل فيجب على الوالدين أن يكونا على دراية ووعي وإحاطة بأساليب التربيّة حتّى يكون

التوجيه والإرشاد مناسبين والإسلام دلنا على كيفية بلوغ مدارك الطّفل، ولقد أكّد علماء التربية والنّفس على أهمية مرحلة الطّفولة في رسم شخصيّة الطّفل وتحديد معالمها بما يتناسب مع تطورات رجولته.[63]

شرح الدّكتور عبد الباري محمد داود في كتابه هذا "الصحة النفسيّة للطّفل" بإسهاب أسباب الأمان العاطفي والنفسي ولم يبيّن المقصود منه والحاصل أنّه يقصد بالأمان العاطفي: الحبّ غير المشروط والحنان اللّغوي والجسدي، واحترام مستوى نموّ الطّفل، والتعاطف مع مشاعر الطّفل، لذا يشجّع الأمان العاطفي على الاستجابة على المدى القريب ويلّمه القيم على المدى البعيد ومن طرق تنمية الأمان العاطفي والنّفسي لدى طفلك،فيرضى عن نفسه ويثق بقدراته وبالعلاقة التي تربطه بالأشخاص من حوله مثلا:

- أن نقولَ للطفل "أنا أحبّك".
- أن نُشعر الطّفل بمحبّتنا له حتى عندما يُخطئ.
- اجلسي بجوار طفلك في السرير قبل خلوده إلى النّوم، احرصي خلال هذه الفترة القصيرة على التحدّث إليه في الأمور اليوميّة دون طرح أي أسئلة، فالتحدّث إليه في الظّلمة قد يحفّزه على التعبير عن مسائل تثير ريبته، يكاد يُجمع علماء التحليل النّفسي على أنّ الحكايات الخرافية مفيدة للنمو النّفسي للطّفل، كما أنّهم يعتقدون أنّ الشعور البارز لدى الأطفال هو عدم الأمن،وهو شعور يُفصح عنه الطّفل بطرق شتى ويتمثّل عدم الأمن هذا لدى

(63): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الثالث تقتضيه طبيعة الدراسة.

الطّفل في البقاء وحيدًا أو في هجر والديه له، أو في الخوف من الظّلام أو من الغُرباء، كما يتمثّل في عديد من المخاوف الكامنة الأخرى وذلك كلّه يتوقّف على شخصيّة الطّفل نفسه.[64]

2) الصّحة الجسديّة والعقليّة والنفسيّة:

نوّه المؤلّف إلى أن الحاجة النّفسيّة الأولى للطّفل المحبة والرعاية والحنان والرأفة والرحمة والعائلة هي الحلقة الأولى لتلبيّة هذه المشاعر، الأم التي تحضنه والأب الذي يرعاه ويشفق عليه، فأسباب الاضطرابات السلوكية ناتجة عن إهمال العائلة وعدم إشباع رغبات الطفل النفسية، فالبيت المسلم يسهم بشكل كبير في العناية بهذا الجانب لأنّه يمتاز بصفاء الإسلام ونصاعة آرائه، فمتى توازن العطاء التربوي بين دوافع الرغبة والرهبة نشأ لديه الضّمير واتضحت له المبادئ، فالمناخ العائلي له عظيم الأثر في عمليات النمو النفسي والاجتماعي للطفل، لأن إغداق الحب على الأطفال يساهم في رفع ذكاء المتخلفين عقليا فكيف بالسليمين؟ فهو يفتح الذّهن ويعطي شخصية متوازنة ونفسية سوية، وعواقب الحرمان وخيمة على الطفل، الوالدان نوعان: **الوالدان البيولوجيان:** وهما الأب والأمّ، **والوالد النّفسي:** البدائل أو من يقوم مقامهما كالمدرّس والمدرّسة والطبيب والطبيبة وكل من يقوم بتربية الطفل ورعايته نفسيًّا، لقد أثبت علماء التربيّة المحدثون أن الأمن العاطفي سبب في انتظام حياة الطفل النفسية، فالنمو الانفعالي

(64): د.هاني السيد العزب، القائد الصغير ضرورة لبناء مستقبل جديد، المجموعة العربية للتدريب والنشر، 2015، ص: 53-54.

والسّواء النّفسي للطفل متعلق بالتجاوب العاطفي من دائرة الأسرة بالمحبة والنمو، ولذلك التغذية الطبيعيّة أفضل من الصناعية لأن **الأولى** تمتاز بالغذاء والحنان **والثانية** بالغذاء دون حنان وهنا يظهر البون الشاسع بينهما والإسلام أمر بالأولى دون الثانية لأن فيها مصلحة الطفل،والانحراف سببه الجفاء، وعد المؤلف شخصيّة مسلمة عالية الهمة قوية العقيدة بحب الله ورسوله يعد أمرا دونه خرط القتاد، فإشباع النفوس بحب الله عزّ وجلّ داخل في فلسفة المحبّة وأثرها في سيكولوجيّة الطّفل، وهو مناط بناء الشخصية المسلمة، والمقصود أنّ الصحة النّفسية يعجز عن تحصيلها غير المسلمين، فالحبّ والانتماء كلاهما من الحاجات التي يتطلّبها المرء من المهد إلى اللّحد، ألا تر أنّ أطفالنا يتصارعون ويشاغبون أكثر مما يلعبون؟ من حقّ الطّفل أن يلعب لكن باكتساب الفضائل وليس الرّذائل، لله درّ أناس كان لعب أطفالهم خدمة للدّين وطاعة ربّ العالمين، فالصّحة النفسية توجّه الانفعالات عند الطّفل في الحب لله ورسوله وللمؤمنين والوالدين وفي الغضب لانتهاك محارم الله، وفي البهجة بالمؤمنين وبنصرهم، فأنعم بها من تربية وحسنت من نفسيّة، إذ لا بد من الوصول بالطفل إلى الثبات الانفعالي المنشود بالتدريب على التكيّف، ذلك أنّ التعود على خوف الله عز وجل وتقواه وخشيته والإنابة إليه يورث السعادة والبهجة في نفس الطفل، فإذا أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضرّاء صبر فكان ذلك خيرا وهذا ما عجب منه عليه الصّلاة والسلام من أمر المؤمن، حتى أن الأطفال حقّ عليهم أن يكونوا أشدّاء على الأعداء رحماء بينهم كمؤمنين، لا غضب ولا كره

ولا حسد ولا تدابر وإنما العيش في كنف الإيمان راحة وسعادة دنيوية وأخروية فالحسد أن تتمنى زوال النعمة عن غيرك وقد أعطاه الله إيّاها، وله أسباب بالنّسبة إلى الطفل كأن يلد مولودا جديدا أو عدم العدول والمساواة بين الأولاد وكذا الحرمان من العواطف والماديات لا سِيّما إذا كانت العائلة غنيّة مترفة، فينبغي نهج سيّد المرسلين بين الأولاد وإشعارهم بالمحبة والحنان والحيلولة دون الحسد والغيرة من الصغير إن أرادوا تكوين شخصيات أطفالهم على الحبّ والتعاون والإيثار وتحريرهم من الحقد والأثرة والأنانيّة وتحقيق العدل بين الأولاد، وأبلغ مثال لغيرة الأولاد قصّة يوسف عليه السّلام وإخوته، الغيرة حالة انفعاليّة تجمع بين حبّ التملّك والشّعور بالغضب، ويظهر شعور الغيرة في الأربع سنوات الأولى عند الأطفال ويكثر عند البنات، وثمّة فارق بين الحسد والغيرة والتّنافس، ومن أسباب الغيرة ميل قلب أحد الوالدين إلى الآخر من الأطفال أو الدلال الزائد أو الإغداق على الصغير أو العليل على حساب الأصحّاء، ثم مدارس التّحليل النّفسي تعود بالغيرة إلى الاتجاهات الجنسيّة المثليّة وهو رأي لا يوافق عليه الكثيرون من أصحاب المدرسة الحديثة وللتقليل منها نرجع إلى العطف والحنان والعدل والإغداق على الجميع دون الجور في تقسيمها من غير غلوٍّ ولا تفريط إلاّ ميل القلب فهذا لا نملكه ولكن ينبغي ألا نظهر للأطفال شيئا يدلهم على التفضيل والتخيير، ومما يؤثّر على الصّحة النّفسيّة للطّفل الخوف وهو حالة انفعالية داخليّة طبيعية يشعر بها الطفل أثناء تعرضه لبعض المواقف التي تهدّده

فيجنح إلى مصادر الأمن وهو يختلف من سن لآخر فقد يرى الطفل عقربا فلا يخاف منه ويظنه لعبة وهو في الحقيقة يهز الثّقة بالنّفس للطّفل.[65]

يشير صاحب الكتاب إلى أسس تحقيق الصحة النفسية وهذه الأخيرة سبب في حصول الصّحة الجسمية والعكس فهما وجهان لعملة واحدة، فمنهج الإسلام يحقق أركان الصّحة في بناء شخصية المسلم بتنمية الصفات الأساسيّة:[66]

1. قوة الصّلة بالله.
2. الثبات والتوازن الانفعالي.
3. الصبر عند الشدائد.
4. المرونة في مواجهة الواقع.
5. التفاؤل وعدم اليأس.
6. توافق المسلم مع نفسه.
7. توافق المسلم مع الآخرين.

وذكر أن فرديد يقسّم المخاوف إلى: موضوعيّة كالخوف من الموت أو الظلام أو الحيوان وعامّة غير محدودة هائمة عائمة لا تستقر لسبب معيّن (القلق العصبي)، أما النوع الأول فقسمه إلى ثلاثة أقسام على حسب درجة الخطورة من الشيء وبروزها، **فالقسم الأول** كالخوف من الثعابين **والقسم**

---

(65): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الثالث تقتضيه طبيعة الدراسة.

(66): د.محمد علي رحمة، المنهج الإسلامي في تحقيق الصحة النفسية (2-2)، ص: 24.

الثاني كالخوف من السفر والطائرة **والقسم الثالث** كالخوف من الصراصير والخنافس، ومن أسباب الخوف المثيرات الغريبة المؤلمة وتكرارها تقليد الكبار، القصص المخيفة المرعبة، العقاب المستمر للطفل، المقارنات بين الأطفال والخطة المتبعة لإزالة الخوف عن الطفل سهلة وهي توضيح الغريب وتقريبه من إدراك الطفل كأن يخاف من القطط فنساعده بالحكمة والطرق المثلى للمسها والتعرف عليها إزالة للغموض الذي يعتريه ويكتنفه من أخذ الأفكار الخاطئة عن الأشياء، والحاصل أن: قصص العفاريت والجن والأشباح و الظّلام ودلال الأم الزّائد وقلقها المفرط من أسباب المخاوف عند الأطفال ولعلاج الخوف المرضي يجب مراعاة ما يلي:

1. تنشئة الولد على الإيمان والعبادة لجناب اللّه عز وجلّ فإن ذلك يجنبه الهلع.

2. حريّة التصرّف وتدريبه على تحمّل المسؤولية.

3. تجنب إخافته بالغول والأشباح واللصوص وإنشائه على الشجاعة والقوة والإقدام.

4. تمكين الطّفل من الخلطة العمليّة بالآخرين.

5. تلقينه غزوات النبي عليه الصلاة والسلام لأنها مثال التحرر من ربقة الخوف وإغلاله والتحلّي بالشّجاعة، والتخلق بأخلاق العظماء.

لأن ضعف الثّقة بالنّفس والشعور بالنقص أو ما يسمّى بالجُبن ترتبطان ارتباطا وثيقا بالخوف وفقد الأمن، وأسبابها هذا الضعف والنقص ما يأتي:

3. التحقير والإهانة.

4. المفاضلة بين الأولاد.
5. الدّلال المفرط.
6. اليتم.
7. الفقر.

إن منهج الإسلام بعيد كل البعد عن الضرب والعنف والشتم والقهر فحسن التربية والمعاملة كل هذا يكون الحبيب المصطفى أسوة وقدوة منذ صغره إلى أن ترعرع شابا إلى أن بعثه اللّه نبيا لأن الله سبحانه أدبه فأحسن تأديبه وشمله برعايته وصنعه على عينه.

الخوف عبارة عن شعور بانقباض القلب وإحجام عن التقدّم بأمان أمام مواقف معينة نتيجة لتوقع المكروه واقتراب من الضرر، ولكن يحتاج الطفل إلى قدر معقول من الخوف من الغرباء ومن مواطن الخطر والآلات الحادّة كي يكون حذرا من كل أمر يهدّد سلامته فيتجنب المخاطر بسهولة، ولكن هل تعتبر النقاط السابقة الذكر كافية لتجنب أو معالجة مشكلة الخوف عند الطفل؟ لا شك أن معرفة أسباب الوقاية وممارسة سبل العلاج تحدّ من وقوع أو تفاقم الكثير من الاضطرابات السلوكية الشائعة مثل الخوف وعدم الثقة بالنفس، فالقائمون على شؤون الأسرة هم أقدر الناس على تفادي المشكلات وتقدير أنسب السبل لمعالجة الأمور وتظل الطرائق

السابقة مادة يمكن الاستعانة بها، والاختيار منها حسب مقتضيات كل موقف، وطبائع الطفل، وعمره ودرجة المشكلة.[67]

خلاصة الفصل الثالث:

تعرّض الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية للطفل في الفصل والمسمى: في الصحة النفسية للطفل "الطفولة وشخصية الإنسان ومدى تأثير العوامل الوراثية والبيئية والغذاء فيها ثم فرق بين مصطلحي الشهوات والغرائز ونبه عن عدم الوقوع في الخطأ الفادح المستعمل عند العامة، وذكر شيئا عن صدمة الميلاد وأكّد أنه لا دليل عليها كما اهتم بدور الأمومة والوالدين بصفة عامة في الصحة النفسية للطفل ومدى احتياجاته للحب والأمن والعطف والحنان والشجاعة وكل الدوافع والسلوكيات المختلفة للطفل، وركز على الإشباع الأسري والمناخ العائلي الملائم للطفل، كما أشار إلى دافع التدين لدى الإنسان، الإسلام يعنى عناية بالغة بالصحة النفسية والجسمية والعقلية والثبات الانفعالي كما ينبذ كل الأمراض كالحسد والكره والأنانية والغيرة ثم اختتم بوصف علاج للخوف وأسباب عدم الثقة بالنفس لبلوغ الصّحة النفسية المنشودة للطفل.

(67): د.بدر محمد ملك، د.لطيفة حسين الكندري، التغلب على الخوف عند الأطفال، سلسلة تربية الأبناء والبنات، الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية، ص: 2-8.

الفصل الرابع

الأمن النّفسي للطفل

❊❊❊

تناول الدكتور عبد الباري محمد داود في الفصل الرابع الأمن النّفسي للطّفل:

إشارة إلى أنه حتى يتمتع الطفل بنمو نفسي سوي لا بد من إشباع حاجياته العقلانية، وأهم هذه الحاجيات: الاطمئنان والحنان والقبول كفرد له استقلاله وحرّيته وأن يتوقى الحرمان لا سيّما إذا ولد مولودا جديدا في سماء العائلة، كما أنّه يحتاج التربيّة الرّشيدة على المنهج القرآني النّبوي في ضوء اهتمام ودفء وحنان الوالدين كما حثّ الإسلام عليه تقربا وتزلفا لله عز وجل برعاية الأولاد والإحسان إليهم، فما أحوجنا إلى أن نعيد غراس الإيمان من جديد في نفوس الأبناء فالإيمان أقوى سبُل الصّحة النّفسيّة للأطفال والكبار وهو أبلغ سمات أطفال المسلمين فمن أراد النمو الطبيعي والصحة النفسية فعليه بالقرآن، ومن أراد شخصية سويّة ونفسا ذكيّة فعليه بالقرآن ومن أراد الولد الصالح والذرية الطيبة فعليه بالقرآن كلام الرحمن، فهو-أي الطّفل- يولد بالفطرة مستعدا للخير وبالفطرة مستعدا للإسلام فالبيئة تجعله يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيّا **والتدين:** ميل فطري في الإنسان وهي نزعة قديمة ترمي إلى الاعتقاد المبني على وجود قوة فوق الطبيعية تقود السلوك وتنظمه، والنزعة غير مصحوبة بوجدان، الطفل له استعداد وقبول للعقائد الدّينيّة من الرجال ومن ثمّ وجب تربيّة الأطفال على

الإيمان بأركانه الستّة وعلى الأمانة والإيثار وعدم الأذيّة للمؤمن وعدم الأنانيّة والشح، فلا بد من إجراء بحوث ودراسات عن مدى تأثير الإيمان بالله عز وجلّ في الثبات الانفعالي والتكيف أو عدمه أم أنّ الإيمان يعيّره بالذنب واللّوم في كل مخالفة أو معصيّة؟.[68]

بيّن صاحب الكتاب أسباب وعوامل الأمن النفسي ولو بين المقصود منه لكان أفضل، ومن هنا نشير إلى أن الأمن هو اطمئنان القلب، والشعور بالسلام في حياة الفرد والمجتمع بوطنه، وللطفل حق في الأمن النّفسي، وذلك بألا يشعر بأي خوف حقيقي أو احتمالي وقد سبق الكلام عن الخوف الذي هو ضد الأمن،[69] ولقد ارتبط مفهوم الأمن والطمأنينة والسكينة من المنظر الإسلامي بمفهوم الإيمان والعمل الصالح والابتعاد عن الظلم، كما أن الإيمان بالله تعالى واتباع منهجه الذي رسمه للإنسان في القرآن وبينته سنته هو السبيل الوحيد المخلص من الهم والقلق، حيث أن الطريق إلى الله تعالى هو الطريق إلى الأمن النفسي حيث تم الارتكاز والتأكيد على أن الإقبال على طريق الله هو الموصل إلى السكينة والطمأنينة والأمن.[70]

---

(68): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الرابع تقتضيه طبيعة الدراسة.

(69): ينظر، عبد القادر الشيخلي، حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية والنظام السعودي والمواثيق الدولية، ص: 148.

(70): ينظر، د.حمزة بن خليل المالكي وأ.علي عبد الرحمن أحمد بانقيب، التنبؤ بالأمن النفسي من المناخ الأسري لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، ص: 19-20.

فالحاجات هي افتقاد لشيء تكون به الحياة مستقيمة عضويا ونفسيًّا، ثم كان تمايزها؛ أي الحاجات؛ فبعضها عضوي وبعضها بيولوجي أو فسيولوجي يلزم لحياة الإنسان لكي يستمر البقاء، وبعضها أولي أو أساسي، وبعضها نفسي، وبعضها حاجات عليا، وبعضها حاجات متوسطة تتوسط المرتبتين السابقتين.وقد تكون هذه الحاجات حاجة اجتماعية تتمثل في شعور الفرد بنقص أو رغبة في إشباع لا يتحقق إلا من خلال تواجده في جماعة فهي تعبر عن شوق شديد من جانب الفرد لأن يكون منتميا إلى جماعة لأنه يشعر في داخلها بوجود حقيقي وسعادة كاملة وقد تكون هذه الحاجات أساسية بالنسبة للفرد ولا يستطيع أن يستغنى عنها أو يصعب عليه العيش بدونها مثل حاجاته للطعام والشرا، .والحاصل أن الطفل يحتاج إلى الشعور بالأمن والطمأنينة داخل جماعته التي ينتمي إليها سواء كانت هذه الجماعة هي الأسرة أو المدرسة أو الرفاق في المجتمع وأن الطفل يحتاج إلى الرعاية في جو آمن يشعر فيه بالحماية من كل العوامل الخارجية المهددة له ولا بد أن يكون هذا الأمن ممتدا في حياة الطفل في حاضره ومستقبله ويجب مراعاة الوسائل التي تشبع هذه الحاجة لدى الطفل حتى لا يشعر بتهديد خطير لكيانه مما يؤدي إلى أساليب سلوكية قد تكون انسحابية أو عدوانية.[71]

من هنا فإن للإيمان بالأركان الستة أثرٌ في تحقيق الأمن النّفسي كلّ بحسب درجة إيمانه فكل ما زاد الإيمان زادت الطمأنينة الحاصلة للإنسان وزاد

(71): ينظر، د.موسى نجيب موسى معوض، حاجات الطفولة1، الألوكة الاجتماعية مجتمع وإصلاح، 2012م، 1433هـ

انتفاعه بهذا الإيمان، والآثار في تحقيق الأمن النفسي كثيرة متنوعة متجددة من أبرزها [72]

- تحقيق الأمن والهداية للإنسان فتحصنه وتحميه من مزالق خطيرة ومنغصات متعددة وقد حكم الله تعالى للمؤمنين بالأمن التام والهداية.
- الإيمان بالله تعالى يورث الإنسان الحياة الطيبة المطمئنة خالية من المنغصات النفسية والاضطرابات الروحية، فروح الإنسان هادئة طيبة تعيش منسجمة مع ذاتها ومع محيطها، تحيطها السكينة والأمن، محصنة من عداء النفس الأمارة بالسوء.
- إن الإيمان بالله تعالى وحده يزكي النفس ويطهرها من أدران الشرك ومتعلقاته، تلك الأدران التي تمرض الروح وتوهن النفس وتجعلها عرضة لكل أنواع الاضطرابات النفسية، ذلك أن إصلاح اعتقاد النفس البشرية بجعلها عابدة لله وحده هو أهم ما ابتدأ به الإسلام، وأكثر ما تعرض له؛ وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاح؛ ولأنه لا يرجى صلاح لقوم تلطخت عقولهم بالعقائد الضالة، وخسئت نفوسهم بآثار تلك العقائد المثيرة، خوفا من لا شيء، وطمعا في غير شيء وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي؛ لأن المرء إنسان بروحه لا بجسمه.

---

(72): ينظر، الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق، أثر الإيمان بالله في تحقيق الأمن النفسي، الألوكة، المواقع الشّخصية. موقع الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن معلا اللويحق 2016م، 1437هـ

- الإيمان بالله يورث النفس الهداية للخير عند حلول المصائب التي تطيش بعقل وروح الإنسان فلربما أهلكته ودفعته إلى أفعال كارثية عليه أو على غيره، فالإيمان بالله يورث هداية للنفس تخرجه من مصيبته وتهديه للتعاطي الإيجابي مع هذه المصيبة فتزيده خيرا على خير.
- الإيمان بالله تعالى يدخل الإنسان المؤمن في حمى الله تعالى، ومن كان تحت رعاية الله وحفظه ما كان ليضيع، وهذا الشعور يورث الإنسان السكينة والأنس، ويشعره بالأمن والطمأنينة وراحة البال وطيب العيش من جميع العوادي الحسية، بل والمعنوية والروحية أيضًا.
- الإيمان بالملائكة يورث الإنسان الاستقامة على أمر الله حين يعلم بأن هناك من يدون ويسجل كل تصرفاته وأعماله، فيحرص على سلامة سجله مما يشين ويدين فيثمر ذلك تصحيح العمل والأوبة إلى الله تعالى، مما يورث الأمن والسكينة النفسية للإنسان.
- الإيمان بالملائكة وأنها تحفظه وتحرسه من أمر الله، تورث الإنسان الطمأنينة بأن هناك من يرعاه ويحميه ويحفظه من كل سوء وأذى.
- الإيمان بالملائكة وأنها تقف بالمرصاد لوساوس الشيطان بتحريك بواعث الخير في النفس، تورث الإنسان الأمن النفسي الروحي من جهة أن الإنسان غير متروك لوساوس الشيطان المزين للشهوات والسيئات فقط، بل هناك أيضًا ملك طاهر زكي يأمر النفس بفعل الخير والبعد عن الشر، ففي الحديث: "ما منكم من أحد إلا وقد وكّل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة".

➢ وكذلك الإيمان بالكتب السّماوية تمنح النفس الشعور بالأمن والسكينة من جهة أن الله تعالى لم يترك الخلق يتخبطون في البحث عن السبل القويمة التي تجلب لهم المصالح وتدفع عنهم المفاسد، فأنزل كتبه التي تضم أحكامه وشرائعه.

➢ الإيمان بالقرآن الكريم يورث الأمن التام من جهة أن القرآن كلية الشريعة وعمدة الملة، وأنه لا طريق إلى الله سواه، به النجاة والسلامة، وبتركه الخسران والضلال والانحراف، قال الشّاطبي رحمه الله: «إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك؛ لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها، واللحاق بأهلها، أن يتخذه سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي؛ نظرًا وعملًا، لا اقتصارًا على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبغية، وأن يظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول، فإن كان قادرًا على ذلك، ولا يقدر عليه إلا من زاول ما يعينه على ذلك من السنة المبينة للكتاب، وإلا؛ فكلام الأئمة السابقين، والسلف المتقدمين آخذ بيده في هذا المقصد الشريف، والمرتبة المنيفة» .

➢ الإيمان بالرسل يورث الأمن التام والصحة النفسية للإنسان من جهة أن الرسول المعصوم قد دل على الطريق القويم، فمن سلكه واستقام عليه نال الخير عاجلًا وآجلًا، فعن العرباض بن سارية -رضي الله عنه- بأنّه

قال: «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ قال: "قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فيسرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة، وإن عبدًا حبشيا، فإنما المؤمن كالجمل الأُنف حيثما قيد انقاد».

- الإيمان باليوم الآخر يورث الأمن التام والصحة النفسية للإنسان من جهة حصول الطمأنينة للمستقيم على شرع الله بالحياة الأبدية الطيبة في جنة عرضها السموات والأرض بعد عبور هذه الدنيا المليئة بالمنغصات والمكدرات ومن جهة مراقبته ومحاسبته لنفسه من أن تحيد عن الاستقامة، فهذا الخوف من الانحراف والضلال وعدم الوقوع في المعاصي التي تمرض النفوس وتهلكها، يثمر استقامة ونوراً وطمأنينة وأمنا واستقراراً للنفس،كما أنه يورث الأمن والأمان للآخرين من جهة أنه يمنع من ممارسة الظلم والبغي والإفساد في الأرض، فهو رادع عن كل أولئك، لينعم الجميع بحياة طيبة مطمئنة آمنة مستقرة.

- والإيمان بالقضاء والقدر يورث المسلم الصحة النفسية والاستقرار الروحي من جهة أن المرء إذا أيقن بأن كل شيء حادث إنما هو بقضاء الله وقدره، وأسلم نفسه لهذا اليقين، فإنه لا يحزن ولا يصيبه القلق والاضطراب عند حصول مكروه، أو فاته إدراك مرغوب ومحبوب.

✓ **ثم عالج الدكتور عبد الباري محمد داود مسألة الآباء والإخلاص في تربيّة الأبناء:**[73]

أشار إلى أن الإخلاص في القول والعمل أساسُ قبول الأعمال وعنوان صدقها ابتغاء وجه اللّه وهو ضرورة في تربيّة الأطفال وسوف ينال الجزاء الأوفى جراء إحسانه وحسن رعايته للأطفال فالصّحة النّفسيّة التي تدوم ولا تزول تكون من أب تقي وولد نقي وبضدّها تتميّز الأشياء فالأطفال خلال مراحلهم الأولى يتشبهون بالآباء سلبا وإيجابا اضطرابا وتوافقا ولقد صدق من قال فمن شابه أبه فما ظلم فالأب ينبغي أن يكون قدوة ولا يصلح له إلا ذلك، فالأسر نوعان منها ما تتبنى سبيل السّواء والرّغبة والتّسامح والدّيمقراطيّة والاتّساق والاهتمام والتقبّل اللّين والرّحمة ومنها دون ذلك كالتسلّط والتشدد والتذبذب والتّدليل والحماية الزّائدة والتفرقة والإهمال والنّبذ والقسوة ولعمري إن هذا سبب المرض النفسي للطفل وانتفاء الصحة عنه، فالآباء يوجهون المحاولة والخطأ.

لقد قال الدكتور عبد الباري محمد داود وصدق فالأطفال يحتاجون القدوة الصّالحة لأنه لا يسهل على الطّفل إدراك المعاني المجردة لذا فهو لا يقتنعُ بتعاليمِ المربي وأوامره بمجرد سماعها، بل يحتاج مع ذلك إلى المثالِ الواقعيّ المشاهَدِ، الذي يدعمُ تلك التعاليمَ في نفسِهِ، ويجعله يُقْبِلُ عَلَيها ويَتَقَبَّلها ويعمل بها.

---

(73): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الرّابع تقتضيه طبيعة الدراسة.

وهذا أمرٌ لم يَغْفل عنه السَّلَفُ الصَّالِحُ، بل تَنَبَّهُوا له وأَرْشَدُوا إليه المربين، فها هو عمرُو بن عتبةَ يُرشِد مُعلِّمَ ولدِه قائلا:« لِيَكُنْ أولَّ إصلاحُكَ لِبَنِيَّ إصلاحُك لنفسِك؛ فإن عيونَهم معقودةٌ بعينك، فالحَسَنُ عندهم ما صَنَعْتَ والقبيحُ عندهم ما تركتَ»[74]؛ وهذا يؤكدُ أنه لا سبيل إلى التربيةِ السليمةِ إلا بوجود قُدوة صالحة تغدو نموذجًا عمليّا للامتثال للأوامر، والاستجابة لها والانزجار عن النواهي والامتناع عنها[75]، وقد كان شبابُ الإسلام وناشئوه في عصر النُّبوَّةِ يحرِصون على الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتقليدِهِ ومحاكاتِهِ في جميع أمورِهِ؛ في وُضُوئِهِ، وصلاتِهِ، وقراءَتِهِ للقرآن، وقيامِهِ، وجلوسِهِ، وكرمِهِ، وجهادِهِ، وزهدِهِ، وصلابتِهِ في الحق، وأمانتِهِ، ووفائِهِ، وصبرِهِ... إلخ.

والمقصود أن القدوة الصالحة تؤتي فوائدا تربويةً عظيمةً في تنشئة الصّغار نذكر منها:

1. تحقيق الانضباط النّفسي، والتوازن السّلوكي للطّفل.
2. وجود المثل أو النموذج المرتقب في جانب من الكمال(الخلُقي، الدّيني، الثقافي والسياسي) حيث يثير في النفس قدرًا كبيرا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبّة.

---

(74): أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (38/271).

(75): عدنان حسن باحارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ص: 68، التربية على منهج أهل السنة والجماعة، ص: 225.

3. مستويات الفهم للكلام عند الناس تتفاوت، لكنّ الجميع يتساوى عند النّظر بالعين، فالمعاني تصل دون شرح.

4. القدوةُ –ولا سِيّما الوالدين- تعطي الأولاد قناعةً بأنّ ما عليه النّموذجُ القدوة هو الأمثل الأفضل الذي ينبغي أن يُحتذى.

الأطفال ينظرون إلى آبائهم وأمهاتهم نظرات دقيقة فاحصة، ويتأثرون بسلوكهم دون أن يدركوا وربّ عمل -لا يلقي له الأب أو الأم بالا-يكون عند الابن عظيما.[76]

كذلك تناول صاحب الكتاب الذي نحن بصدد دراسته التربية المدرسية للطفل والنمو النفسي:

ذكر أن المدرسة هي المنظمة التي أوكل إليها المجتمع تربيّة النّشأ، فلا بد للطفل أن ينسجم مع الحياة الأسريّة والمدرسيّة والاجتماعيّة وأن لا يتناقض فيها، ولا ينصدم ولا ينفصل فالمدرسة ليس مهمتها الحشو بالمعلومات وإنما إعداد مواطن صالح فلتسع إلى تكيف الطفل مع ذاته ومع غيره، فالتربية لها دور في تحقيق الإشباع للدوافع والحاجات للطفل كالانتماء والإبداع والمعرفة والقبول الاجتماعي والاعتراف وتقدير الذّات واحترامها والحاجة إلى التعبير عن الذّات، فالطّفل لما يصل السادسة من عمره يرسل إلى المدرسة يضيف إلى المؤثّرات المنزليّة مؤثرات مدرسيّة أو تعليميّة تستمرّ في النّاشئ إلى أن يخرج إلى الحياة، ولذا وجب أن يكون الاتصالُ وثيقا جدّا بين

(76): د.محمد عبد السلام العجمي وآخرون، تربية الطفل في الإسلام: النظرية والتطبيق، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م، ص: 95.

الحلقات الثّلاث وهي: الأسرة والمدرسة والمجتمع،فالحلقة الأولى تتمثل في الوالدين ومال هما من تأثير في الرعاية والتربية على المنهج الإسلامي القويم والحلقة الثانية الأسرة المدرسية لا سِيّما المعلمون لهم الأسوة الحسنة في رسول الله عليه الصلاة والسّلام ومدى الحكمة في الدعوة والتربية والتعليم والمدرسة محتواة في المجتمع -الحلقة الثالثة- تستمد قيمها ومبادئها منه فالواجب صلاح المجتمع واتسامه بالسّمت الإسلامي حتى يضطلع بالمهام المنوطة به تلقاء أفراده لا سيما الأطفال وصحتهم النّفسيّة.(77)

إن الأسرة والمدرسة تتقاطعان في المقاصد والغايات ولكن التربية في كليهما تختلف في بعض نقاط:

أ- نوع السّيطرة في كل من المدرسة والمنزل، فسيطرة المدرسة أقل من سيطرة الوالدين، لأنّ الطفل حين يغضب من المدرسة يلجأ لوالديه، أمّا حين يغضب من والديه فلا ملجأ له سوى إرضائهما.

ب- نوع المعاملة: المدرسة تعتمد التساوي في المعاملة بين التلاميذ وأقربهم للمدرسة أصلحهم، أما البيت فإن عنصر الشفقة والعاطفة الأبوية تغفر للأبناء ذنوبا كثيرة، حتى إن كثيرا منها لا تراه، كما قال الشاعر: «وعين الرضا عن كل عيب كليلة».

كما أن الأسرة تتدرج في شدتها مع سنوات الطفل الزمنية أما المدرسة فنظامها من اليوم الأول واحد.

---

(77): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الرّابع تقتضيه طبيعة الدراسة.

بناءً على ما تقدّم يمكن أن نستنتج أن العلاقة بين المدرسة والبيت علاقة تكامل تام، إلا أنه على رغم هذا التكامل فإن على المدرسة أن تعلم أنها مهما بلغت أهمية الدور التربوي إلا أنها لا تستطيع إغفال أهمية البيت في حياة الولد، لذلك عليها أن تأخذ هذا الأمر في عين الاعتبار أثناء تعاملها معه معتمدة في هذا التعاون على نقطتين:

1. عدم اعتماد أسلوب الرفض أو التقريظ أو التشهير من أجل تقويم سلوك الولد، فلا يفضح المدرس أسرار الأسر ولا يشهر بها أمام الولد، ونستطيع أن نورد هنا مثالا يظهر بعض شذوذ المدرسين في عدم احترام مشاعر الطفل تجاه أسرته فقد حدث أن "سأل المدرس أحد تلاميذه عن إحدى المسائل التعليمية فلم يجب وكان والد الطفل حمالا على حمار فاستهزأ المدرّس بالطفل وقال: أظنك كنت بايت اليوم ده مع الحمار، فضحك التلاميذ كلّهم ولكن التلميذ كان حاضر البديهة، أثاره الغضب فقال للمدرّس: كنت بذاكر وأراد أبي النوم، فقال لي: اذهب وذاكر إما عند أستاذك أو عند الحمار ففضلت الثاني.

2. التعاون بين الطرفين من أجل مصلحة الطفل بالدرجة الأولى، من هنا فعلى المربي المسؤول عن الطفل دراسة وضع الطفل الأسري والتعاون مع الأهل من أجل وضع الخطة السليمة للعلاج الصحيح، ولا بأس في بعض الأحيان من أجل هذه الغاية أن يقوم بالزيارات إلى الأسرة يشرح لهم أوضاع الطفل ويتلقى انعكاسات المدرسة عليه، وقد تأتي هذه الزيارات في بعض الحالات الخاصة كمرض الطفل وغيرها من المناسبات الاجتماعية الأخرى،

ويمكن في بعض الأحيان إذا استدعى الأمر المساعدة في معالجة مشاكل الأهل إذا كانت من النوع الذي يؤثر على سلوك الطفل.[78]

المدرسة وأهميتها في الرّعاية النّفسيّة والاجتماعيّة للطّفل:

الأطفال وهم في دور الحضانة والكتاتيب يكتسبون الاستقلال والإحساس بالذّات وهو في حاجة إلى العطف والحبّ ومراعاة متطلّبات مراحل النّمو ومطالب كل مرحلة والعمل على تلبيتها في وقتها وإشباعها بالقدر المعقول لكي لا يقع الطفل في دائرة القلعة والاضطراب النفسي، فالطفل لا بد أن ينشأ على الصّلاح للإسهام في رقي المجتمع وسموه، والمدرسة في اتصالها بالنّظام الأخلاقي القرآني النبوي يكبح جِماح النّفس ويسوقها إلى الاعتدال فشخصية الطفل تتعاهدها المدرسة بالتّهذيب والتّعديل.

أثر المدرسة في تكوين شخصيّة الطّفل:

- ✓ **الرّوح المدرسيّة العامّة:** تعمل المدرسة على تربية الشّخصيّة من جميع نواحيها المزاجية والخلُقيّة.
- ✓ **المربي:** النموذج والقدوة التي يتمثلها الطفل ثقافة وأخلاقا ليكون على السّواء (التخليّة والتحليّة).

(78): أ.د/رأفت عبد العزيز البوهي، د/إبراهيم جابر المصري، د/أحمد محمد ماجد، د/منى أحمد عبد الرحيم، أصول التربية المعاصرة، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ص: 319-320.

✓ **عامل النّجاح المدرسي:** النجاح وما يلحقه من ثقة في النفس والفشل وما يتبعه من نقد كل هذه العوامل التفسيّة تؤثّر على صحّة الطّفل.[79]

وهكذا فإن المدرسة تُعتبَر مرحلة من المراحل التي تؤثّر تأثيرًا رئيسيا في تكوين الفرد تكوينًا نفسيًّا واجتماعيًّا، وكذلك في تطوير ونمو شخصيته، كما أنها تمثِّل حلقة الوصل بين البيئة الأولى للطفل، وهي الأسرة، وبين مجتمعه الكبير الذي سوف يضطلع فيه بمسؤولياته ويقوم بما عليه من أدوار وواجبات؛ ولهذا فكلما كانت الأهداف التربوية للمَدرسة واضحة وسليمة، كانت أكثر فاعلية في تشكيل الأبناء وتكيُّفهم مع أنفسهم ومجتمعاتهم.[80]

لا شك أنّنا نحتاج إلى نظريّة تربوية إسلامية معاصرة محضة يؤسس عليها العمل التربوي لبناء الأجيال الصّاعدة، لأنه ينبني الآن على فلسفات إلحادية وتبنيها الجانب المادي للشّخصيّة مهملين الجانب الروحي الإيماني، لأن حضارة الغرب عرجاء مقطوعة لعنايتها بالجانب المادي وإغفال الروحي الخلقي أما الإسلام فهو منهج متكامل من جميع جوانب حياة الفرد النفسية الأخلاقية الروحية الاجتماعية العقلية الإيمانيّة والحياة المدرسية لزاما عليها

---

(79): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الرّابع تقتضيه طبيعة الدراسة.

(80): د.فرغلي هارون، مقال المدرسة والصحة النفسية لأنبائنا، الألوكة الاجتماعية مجتمع وإصلاح، 1434هـ-2013م.

المبادئ الإسلامية وإشباع حاجات الطفل ودوافعه في ضوء المنهج الإسلامي يمتاز بـ:

1. التوسّط والاعتدال في كل شيء.
2. الإشباع وعدم الحرمان المقيد بالشرع والنظام والصالح العام.
3. الشخصية بصفة متكاملة من كل جوانبها لا لطغيان المادة ولا رهبانيّة في الإسلام.
4. الإشباع له قيود وقواعد وضوابط.
5. الزهد في الدنيا والعمل الصالح للحياة الكاملة هي الآخرة (الحيوان).
6. السمو بالطفل من الأنا والأنانية إلى الإيثار وتوقي شح النفس.
7. هذا وإنه ليس للمدرسة عذرٌ أو بدٌّ من التمسك بمنهج الإسلام شرعة ومنهاجا، إنّه الطفل في رحاب الإسلام.[81]

ويؤيّد قول المؤلّف ما جاء في بحوث المؤتمر التربوي أن لكل نظام من نظم التربية والتعليم روحَه الخاصة وضميرَه الخاص، النابعان من تصور أهله للكون والإنسان والحياة،فتربية الأجيال المسلمة في ظل نظم التربية غير الإسلامية يؤدي إلى صراع العقل والضمير، وإلى الردة الفكرية والدينية، يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي: «ولا يخفى على المطلع الخبير أن لنظام التعليم روحا وضميرا كالكائن الحي له روح وضمير، إن روح نظام التعليم وضميره

(81): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الرّابع تقتضيه طبيعة الدراسة.

إنما هو ظل لعقائد واضعيه ونفسيتهم، وغايتهم من العلم، ودراسة الكون، ووجهة النظر إلى الحياة، ومظهر لأخلاقهم وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة وروحا وضميرا يشعرها بذاتها، إن هذه الروح هي التي تسري في هيكله تماما، إنها تسري في جميع العلوم، في الأدب والفلسفة، والفنون والعلوم العمرانية حتى في علمي الاقتصاد والسياسة بحيث يصعب تجريدها من هذه الروح،وليس في وسع كل شخص أن يميّز بين الصحيح والسقيم منها، وإنما يتيسر ذلك لرجل أوتي قوة الاجتهاد وملكة النّقد القوية ما يستطيع به أن يميز الجزء النافع من الجزء الضار ،فيكون عاملا بمبدأ **"خذ ما صفا ودع ما كدر"**، فإذا طبقنا النظم التربوية غير الإسلامية في بلاد مسلمة، أو مجتمع مسلم، فإنه يحدث به قبل كل شيء صراع عقلي ثم يتدرج ذلك إلى تزعزع العقيدة، والردة الفكرية وأخيرًا إلى الرّدة الدّينية... إلا من عصم ربُّك، ولكي تتخلص الأمة الإسلامية من كل ألوان الفوضى الفكرية والتربوية التي هي طابع حياتها المعاصرة، وتعالج كل صنوف العورات وعوامل الضعف والتفكك، ومن ثم تسترد مركز القيادة في هذا العالم، لكل هذا لابد من تصحيح منهج التلقي والتربية وبناء الإنسان. وتصحيح منهج التلقين من أجل بناء الإنسان المسلم المعاصر الذي يقود الحياة في عالمه على عهد الله وشرطه، يقتضي مجموعة من الأمور أهمها ما يلي:

أولا: بيان طبيعة التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة.

ثانيا: تحديد الأهداف العامة النابعة من التصور الإسلامي.

ثالثا: تربية الطاقات والمدارك الإنسانية، الظاهرة منها والخفية التي أودعها الله في الإنسان من أجل الإدراك والتفكير والإحسان في العمل.

رابعا: التركيز على إيضاح المفاهيم الرئيسية التي تسهم في طبيعة التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة.[82]

ثم أورد الدكتور عبد الباري محمد داود مجموعة من الأسئلة تنبئ عن التقصير الحاصل في شأن التربية والتعليم والصحة النفسية للأبناء كالتالي:

- هل الأسرة والمدرسة تقومان بوظيفتهما على أكمل وجه؟
- وهل تحملان تبعة أخلاقيات مراحل النّمو الاجتماعي للطفل حتى يكون حقيقا بالمسؤولية وأهلها؟
- وهل يؤمّنان له الوِجاء النفسي ودفع الداء العضال الذي استفحل في المناهج والأنظمة التربوية ؟

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ويرى البعض أن الطفل يخضع لتأثيرات أربع من القوى الاجتماعيّة هي:

1. الأسرة: أفرادها متمثلون في الوالدين والأخوة والأقارب.
2. المدرّسون: القائمون بالعملية التربوية داخل المدرسة.
3. الرفاق: الصف أو اللّعب.
4. الإعلام: أنماط التربية غير المقصودة.

---

(82): تحرير الدكتور فتحي حسن ملكاوي، بحوث المؤتمر التربوي ، الجزء الثاني، مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، 1412هـ-1991م، ص: 36.

وبالتّفاعل بين الأسرة والمدرسة والمجتمع تبنى شخصيّة الطفل وتتفاعل الألفة العاطفيّة والمدرسيّة، والمقصود أن المناخ المفعم بالحب والود والألفة سبب في التوافق النفسي الصحي للطفل وضد ذلك مردود مرفوض لأنه سبب المرض النفسي.

ولتحقيق الشخصيّة السويّة للطّفل نسعى إلى:

1. الأصدقاء ذوي الخلق الحسن للطفل.
2. أكثر قدرة على تحمّل النّقد.
3. أكثر فاعليّة وإيجابيّة وحسما وإثباتا لوجوده.
4. أقل كآبة وتوعكا وحزنا.
5. الجد والاجتهاد والنّضال.
6. القدرة على الإنتاج والتّحصيل و الإنجاز.
7. أكثر طاعة وولاءً والتزاما وانضباطا.

وهل يتحقّق ذلك بغير الإيمان باللّه ومن غير أداء الأسرة والمدرسة والمجتمع كلهم أجمعين؟ لا وكلّا...

ألا نقتدي بالمدرسة المحمدية الإسلامية التي نشرت الفضيلة ودفعت الرّذيلة وبثت القيم والمثل العليا للبشريّة ودور المساجد التعليمي الديني ولكن ترى هل أضحت مساجدنا فاعلة ناجعة قائدة بالعلم الصّحيح كما كانت بالأمس؟

والجواب عن هذا ما ذكره الكاتب عمر بن إدريس الرّماش[83] أن تراجع دور المسجد واضمحلاله في المجتمع الإسلامي المعاصر يعود إلى أسباب وعوامل داخلية وخارجية عديدة لا حصر لها، إلا أن أهمها يتمثل في تراجع دور الدين والتدين وإقصائهما عن واقع الحياة المعاصرة، ثم غياب الوازع الإيماني أو ضعفه وشيوع ظواهر سلبية خطيرة، مثل الفراغ الروحي والجهل والأمية والخرافة والشعوذة والدجل والسحر في صفوف أفراد الأمة اليوم وجماعاتها، لقد انحرف المسلمون اليوم أفراداً وجماعات عن الصراط المستقيم وابتعدوا عن الدين القويم والعقيدة الصحيحة والشريعة السمحة والفكر الإسلامي السليم، وهجروا القرآن والسنة، واعتنقوا المذاهب الإلحادية الشرقية والغربية، كما أنهم لم يقدروا قيمة المسجد ومكانته في الإسلام، مقارنة مع السلف الصالح رضوان الله عليهم، بل هجروه إلى أماكن أخرى ولم يعمروه كما أراد الله ورسوله ولم يولوه العناية الخاصة التي يستحقها.

والذي يظهر أن الأسرة والمدرسة اليوم أداؤهما يعتريه العجز والقصور نظرا للعوامل التالية:[84]

(83): عمر بن إدريس الرماش، مقال لماذا تراجع دور المسجد ومكانته في المجتمع، مجلة الفرقان، 2014م.

(84): ينظر، محمد فيصل عثمان، المدرسة المعاصرة (قضايا ونظريات حديثة)، الطبعة الأولى، دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع، 2016م، ص: 84-85.

أولا: **العوامل الأسرية:**

- ضعف المستوى الثقافي والاجتماعي لأفراد الأسرة.
- تفكك الأسرة وكثرة الخلافات بين أفرادها.
- عجز الأسرة عن توفير متطلبات الدراسة، وتهيئة الجو المناسب للدراسة في المنزل.
- طبيعة التنشئة الأسرية الخاطئة، كتنشئة الأبناء على الدلال الزائد وتعويدهم الاتكالية وعدم الاعتماد على النفس، أو الشدة في التعامل معهم.
- عدم استقرار الأسرة وكثرة تنقلها من مكان لآخر.
- النظرة السلبية للتعليم وقصور الوعي بأهميته.
- انتشار وسائل اللهو والترفيه كالقنوات الفضائية والألعاب المختلفة.
- انخفاض المستوى الاقتصادي، وصعوبة الظروف المعيشية للأسرة.

ثانيا: **العوامل المدرسية:**

- ضعف كفاءة الإدارة المدرسية.
- ضعف كفاءة بعض المعلمين من الإعداد والترتيب.
- ضعف الصلة بين المناهج المدرسية وحياة الطلاب.
- الاعتماد على أساليب التعليم القائم على الامتحانات التقليدية.
- نقص خدمات التوجيه والإرشاد داخل المدرسة.
- النقص في الإمكانيات والتجهيزات المدرسية.
- خلو المناهج الدراسية من عنصر التشويق.

- عدم استخدام طرائق التدريس والوسائل التعليمية الحديثة.

خلاصة الفصل الرابع: تبيّن من خلال عرض الفصل الرابع أن الحصول على الأمن النفسي للطفل لا يكون إلا بالتربية الإيمانية والتربية الأسرية، والأثر البالغ للحلقات الثلاث الأسرة والمدرسة والمجتمع ولا بد من التأصيل لنظرية تربوية إسلامية معاصرة تقوم على أساس التصور الإسلامي على منهج الرسالة المحمدية وتفعيل القوى الاجتماعية دون إهمال دور المسجد في التربية الإسلامية للأبناء.

الفصل الخامس

شموليّة التربية والصّحة النفسية

❊❊❊

تناول الدّكتور عبد الباري محمد داود في الفصل الخامس:

شموليّة التّربيّة والصّحة النّفسيّة.

- **صدَّرهذا الفصل بالأمن الاجتماعي للطّفل:**

ذكر أن الإسلام مدرسة تربويّة جامعة تبني الفرد والجماعة وتنشئ المواطن الصّالح المؤمن بربّه ووطنه والقادر على الإسهام الفعّال في حركة تعمير الكون وتنميّة الحياة وهذا مقتضى استخلافه على مبادئ إنسانيّة وخُلقيّة كما يلي:

- ❖ التعاون والأخذ والعطاء والصالح العام المشترك.
- ❖ الشورى والإيمان بالفرد والجماعة.
- ❖ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.
- ❖ الرحمة والشفقة والبرّ والإحسان والورع.
- ❖ التضامن والتكافل.
- ❖ العدل والمساواة وتكافؤ الفرص.
- ❖ العلم والتفكير المنطقي الموضوعي ونبذ الأساطير والخرافات والتفكر في ملكوت السماوات والأرض لأنها عظيمة وخالقها أعظم.
- ❖ ترسيخ قيم العدل والإنصاف والحقّ.

❖ الدعوة إلى الأكل من كسب اليد وعدم السؤال وهذا ديدن الأنبياء والصّفوة.

❖ الدّعوة إلى عبادة الله تعالى وهي الغاية التي خلق من أجلها.[85]

أشار المؤلف إلى موسوعية وتكامل المدرسة التربوية الإسلامية ويؤيد هذا ما جاء على لسان الباحثة ناهد عبد الوهاب محمد صديق أنّها تمتاز بالخصائص التالية:[86]

أولا: التربية الإسلامية تربية شاملة:

فالتربية الإسلامية تتناول شخصية الفرد من جميع النواحي، فهي تحرص على صحّة الأبدان كما تحرص على الأخلاقيات والجوانب السلوكية والقصد في التغيرات الانفعالية، وتنمي في الوجدان حب الآخرين والتراحم والتواد معهم، وهي بهذا ليست تربية دينية بمعناها الضيّق ولكنّها تربية إسلامية شاملة.

ثانيا: التربية الإسلامية نظام منفتح عالميا:

فالإسلام منفتح على كل التجارب العالمية يأخذ منها ويعطيها رغم كمال الإسلام وتفوقه على كل الإيديولوجيات القائمة، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلّم لأصحابه: «أنتم أعلم بشؤون دنياكم» (رواه مسلم)،

---

(85): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الخامس تقتضيه طبيعة الدراسة.

(86): ينظر، الباحثة ناهد عبد الوهاب محمد صديق، حقوق الطّفل في الإسلامي من المنظر النفسي الاجتماعي، المكتبة الأكاديميّة، 2010م، مصر، ص: 58-59.

فالإسلام ليس منغلقا على نفسه بل منفتح على الحضارات الأخرى يأخذ منها ما يفيده وما لا يتعارض معه.

ثالثا: التربية الإسلامية نظام أصيل ومعاصر:

فقد نجحت التربية الإسلامية في تحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة، فلم يخش المسلمون التعامل مع النماذج التربوية الأخرى مع الاحتفاظ بالأصالة للنموذج الإسلامي وقدرته على النفاذ إلى أعماق من يتعامل معه.

رابعا: التربية الإسلامية نظام نظري وعملي:

فالتربية الإسلامية لا تكتفي بالقول أي بالجانب النظري، ولكنها تعتمد على التنفيذ العملي لهذه القواعد، ويستعيذ النبي صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع، وهو العلم الذي لا يغير حياة الناس إلى الأفضل، فيقول في دعائه: «أعوذ بالله من علم لا ينفع» وكان النبي عليه الصلاة والسلام قرآنا يمشي على الأرض، وكان خلقه القرآن أي أنّ أفعاله مؤيدة لما جاء في القرآن وبما يقوله في السّنة المطهرة.

خامسا: التربية الإسلامية تربية مستمرّة:

فهي لا تقف عند حدّ أو سن معيّن فكل مرحلة لها احتياجاتها وخصائصها، فطلب العلم والأمر بالصلاة والضرب على العبادات والتفريق في المضاجع وما شابه ذلك، كلٌّ مقيد بزمن.

سادسا: التربية الإسلامية تربية متدرّجة:

وذلك من منطلق أن عملية اكتساب العادات والمفاهيم والمهارات والاتجاهات والسلوك تستغرق وقتا للوصول إلى الكمال في كل منها ولا تتم على نحو فجائي فلا بد أن تتم على طريق التدرّج والاكتساب فالعلم بالتعلّم والصبر بالتصبّر والحلم بالتحلّم ومثال لذلك تحريم الخمر في بداية الدعوة الإسلامية كان متدرّجًا وكذلك تحرير العبيد جاء متدرّجا بفرض الكفّارات.

ثمّ استطرد المؤلّف أنّ الإسلام عبادات ومعاملات يكفل للطفل سلوكا إنسانيا إيمانيا بل وينميه ويطوره إلى الأفضل في كلّ مرحلة ومن ثم التربيّة تستهدف تطهير نفسيّة الطّفل من كل نفاق أو لا مبالاة أو كل خلق شاءه وقدر ضئيل فلا بد في تنشئة الطفل على اتّباع الشّرع والعقل وعدم المغالاة والصدق والأمانة والشّجاعة وعدم التكبر والتشبه بالنّساء ونبذ كثرة المزاح، و كل هذا يندرج تحت منهج الإسلام السّامي في العادات والعبادات والمعاملات والأحوال وتربية الأولاد على هذا النّهج من ركائز الأمن الاجتماعي وعلى الأولياء تدريب وتعويد الأبناء على حفظ كتاب الله حفظا وفهما وتدبرا وتفكرا وعملا وعلى تفقيههم أسماء الله عز وجل وتبصيرهم بها فلا يعرف قدرها وأثرها ولا يعقلها إلا العالمون يعرفون قداستها وتترك انفعالها على أرواحهم ونفوسهم فيكون لدى الطفل الحد الأدنى من الإذعان والقبول لدين الإسلام فليس هناك أمن اجتماعي ولا صحة نفسيّة ما لم يترب الإنسان على عقيدة سويّة وأخلاق قويمة وسلوكيات فاضلة، وذلك لأن التربية الاجتماعية الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان والمقصود لا مفر من ضرورة

التربيّة الاجتماعيّة للأطفال على كتاب الله وسنة حبيبه ومصطفاه وغرس أصول العقيدة الإسلاميّة للأطفال فضلا عن توافر القدوة الصّالحة لأنه إذا فسد الزّمان عرف الأطفال الميزان.[87]

ومفهوم الأمن الاجتماعي في الإسلام يستوعب كلّ شيء مادّي ومعنوي، فهو حقٌّ للجميع أفرادا وجماعات، مسلمين وغير مسلمين، محتويا على مقاصد الشريعة الإسلاميّة الخمسة: حفظ الدّين والنّفس والعقل والمال والعرض المطلوب شرعا المحافظة عليها[88]،ولا شك أن بقاء ونماء الأفراد والمجتمعات والأمم قوامه الأمن الاجتماعي الذي يقوم على الأمانة والعدل والتحرر من الخوف، فالأمانة لا تقتصر على أداء حقوق الآخرين من مال بل أداء ما علينا من التزامات بنزاهة وصدق وهو ما يتجلى في قوله صلى الله وعليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْيُتْقِنَهُ".[89]

فالأمن الاجتماعي حاجة ضرورية ملحّة لأي مجتمع؛ لأنه يتعلق بأبناء هذا المجتمع بمختلف الشرائح (ذكورًا وإناثًا، كبارًا وشبابًا وأطفالا، مواطنين ومقيمين، مهما تنوعت الديانات والمذاهب والقوميات والعروق)، وكذلك على الصعيد الأمني والسياسي والاجتماعي والتربوي والديني والثقافي

---

(87): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الخامس تقتضيه طبيعة الدراسة.

(88): محمد بن حسين بن حسن،معالم أول الفقه عند أهل السنة والإجماع، دار ابن الجوزي، الطبعة الخامسة1427هـ،ج: 1، ص: 240.

(89): أبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، مسند أبي يعلى، الموصلي، 7/34، رقم: 4386.

والصحي والاقتصادي فالأمن الاجتماعي ركيزة أساسية لكي يشعر أفراد المجتمع بالأمن والأمان والاطمئنان، والتمتع بالحياة الكريمة المستقرة، وبناء أفراد صالحين وناجحين وسط أسر نموذجية صالحة، إذا لا يمكن الحصول على فكر صحيح، وثقافة وتربية سليمة في ظل غياب الأمن الاجتماعي، وبالتالي فإن الأمن الاجتماعي مسؤولية اجتماعية عظيمة تقع على عاتق جميع أفراد المجتمع وعلى رأسها الجهات الحكومية والمؤسسات المدنية والنخب المتخصصة والمسئولة.[90]

ثم انتقل صاحب الكتاب إلى الوجاء الخلقي للطفل وأثره في نفسيّة الطّفل مختصرا كلامه:

الطفل نسخة من أبيه يتقمص عاداته وتقاليده فإذا كان الأصل ثابتا على جانب من الأخلاق الحسان وأخلاق الإسلام فسيكون الفرع كذلك ولا بدّ، فنحن نسعى إلى إعداد تكوين نفسي لكلا الجنسين إلى أن يكونوا نبلاء في أقوالهم وأفعالهم وتصرّفاتهم والتزامهم التربية التي تعصمهم من الزلل والوقوع في براثن الآثام والرذائل متحلين بمكارم الأخلاق والفضائل العليا، إذًا فعلينا بأسلوب الترغيب والترهيب لتقويم السلوك فيصبح السواء والتوافق طبعا وأصلا، ولا يتحقق الصفاء النفسي والشفاف النوراني بدون الشمائل والقيم الإسلامية العربية ولكن لا يتأتى ذلك إلا إذا كانت القدوة جاهزة وصالحة مبدئيا، ناهيك عن الآباء والأمهات لمسؤوليتهم العظيمة في التهذيب

(90): عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، ج: 1، ص: 62.

والأخلاق وسوف تسألون، قال ابن الجوزي: "ويقبّحان عنده ما يقبح، ويحثّانه على مكارم الأخلاق، ولا يفتران عن تعليمه على قدر ما يحتمل، فإنّه موسم الزرع"، نحو التربية النفسيّة... عذرا... بل التربيّة القرآنية.[91]

لا يختلف اثنان في قول الدكتور عبد الباري محمد داود ومن هنا فإذا كان قول العالم والفيلسوف والمربّي "جون ديوي" أن التربية بدون فلسفة عمياء، وأن الفلسفة بدون تربية جوفاء قول صحيح فإنه ينطبق أكثر ما ينطبق على العلاقة بين الدّين والتربية في الإسلام، فالتربية الإسلامية تتخذ من مبادئ الدّين الإسلامي فلسفة لها وتستضئ بتوجيهاته وتعاليمه، كما أن تعاليم الدين الإسلامي لا تتعمّق في نفوس النّاس إلاّ بالتربيّة، وهو ما فعله الرسول صلّى الله عليه وسلّم مع الصّحابة، عندما تخرّج علي يديه هذه الكوكبة العظيمة من الرّجال الذين دانت لهم الأرض في سنوات قليلة ووضعوا أسس حضارة من أعظم حضارات التّاريخ وليس ذلك إلّا لأنّهم قد تعلّموا وتخرّجوا في مدرسة محمّد عليه الصّلاة والسّلام.[92]

ولقد فَطَرَ الله الإنسان على حبِّ المثوبة، وما فيها من لذَّة ونعيم؛ فإنه يَرْغَب في ذلك ويعمل من أجل تحقيقه، كما فطره - أيضًا - على بُغض العقاب، وما يَتَرَتَّب عليه من أَلَم وشقاء، فإنه يرهبه وينفر منه.

---

(91): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الخامس تقتضيه طبيعة الدراسة.

(92): ينظر، مرجع سابق، الباحثة ناهد عبد الوهاب محمد صديق، حقوق الطّفل في الإسلامي من المنظر النفسي الاجتماعي، ص: 7.

ولهذا عُنِي القرآن الكريم والسنة النبوية بالترغيب والترهيب، كأسلوب مهمٍّ من أساليب التربية.

والترغيب: وعْد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيِّرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعَمَل صالح، أو الامتناع عن لذَّة ضارة أو عمل سيئ؛ ابتغاءَ مرْضاة الله، وذلك رحمة من الله بعبادِه.

والترهيب: وعيد وتهديد بعقوبة تترتَّب على اقتراف إثْم أو ذنب، مما نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمَرَ الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية؛ ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهَفَوات والمعاصي.[93]

ويمتاز أُسلوب الترغيب والترْهيب في القرآن الكريم والسنة النبوية، عن غَيْره من أساليب الثواب والعقاب في المناهج التربويَّة الأخرى بأنه يعتمد على الإقناع والبرهان، ويكون مصحوبًا بتصوير فنيٍّ رائع للثواب المرغَّب فيه، المتمَثِّل في الجنة، وكذلك للعقاب المنتظر، المتمثل في جهنم -أعاذنا الله منها- كما يعتمد الترغيب والترهيب في القرآن والسنة -أيضًا- على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية؛ كعاطفة الخوف من الله تعالى، والتذلُّل والخشوع له سبحانه والطَّمَع في رحمته، والأَمَل في ثوابه.[94]

---

(93): عبد الرحمن النّحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، الطّبعة الثّالثة، 1425هـ-2004م، ص: 230-231.

(94): المرجع السّابق، ص: 231-237.

والتربية الخلقية من أهم التربويات بعد التربية الإيمانية ويقصد بها مجموعة المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل، ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقله إلى أن يصبح مكلّفا.[95]

ومما لا شك فيه، ولا جدال معه أن الفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ، والتنشئة الدينية الصحيحة[96]،وحينما تكون التربية للطفل بعيدة عن العقيدة الإسلامية مجردة من التوجيه الديني والصلة بالله عز وجل فإن الطفل -لا شك- يترعرع على الفسوق والانحلال، وينشأ على الضلال والإلحاد فالجانب الخلقي لا ينفصل عن الجانب الروحي والعبادي، وأفضل طريق للوصول إلى مكارم الأخلاق هو طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم..

وللأخلاق صلة وثيقة ومتينة بالدين، حيث يقول الفيلسوف "كانت" "**(Kant)**": لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاثة: وجود الإله، وخلود الروح، والحساب بعد الموت"، ويقول "فيختة **(Fichte)** "الفيلسوف الألماني "الأخلاق من غير دين عبث"، حيث يتكرر القول الإنجليزي في أذهاننا:

(Money Is lost nothing in lost, Health is lost something is lost but Character is lost all is lost)

---

(95): عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (بيروت: دار السلام، ط 3، 1981م)، ج: 1، ص: 147.

(96): المرجع السّابق.

وقال الزعيم الهندي المعروف "غاندي" (Gandhi): "إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبلان الانفصال، ولا يفترق بعضهما عن بعض، فهما وحدة لا تتجزأ، إن الدين كالروح للأخلاق، والأخلاق كالجو للروح؛ وبعبارة أخرى الدين يغذي الأخلاق وينميها وينعشها، كما أن الماء يغذي الزرع وينميه". (97)

جاء بين ثنايا الكتاب المدروس طرق باب القرءان والنمو النّفسي للطفل:

حيث نوّه المؤلّف إلى أنه قد دلّت الدراسات النفسيّة الحديثة أنّ حياة التدين تساعد المؤمن على التمتّع بالصّحة العقليّة والنّفسيّة إلى الحدّ الذي جعل بعض العلماء من أمثال عالم النّفس كارل يونج يستخدم الدين منهجا، في علاج مرضاه وذلك بإعادتهم إلى حظيرة الدين ومظلّته الظليلة وإلى فكرة الإيمان والإسلام له أعمق الأثر في ذلك فهو مدرسة روحانيّة وسلوكيّة وخلقيّة شاملة تهذب وتصقل الشّخصيّة المؤمنة وتغرس المبادئ الخلقية القويمة، ولا نهمل الطفل فقد قال عبد الملك بن مروان نتيجة حبه لولده وصار لحانا (يخطئ في النحو): "أضر حبنا بالولد"، إذًا نحن ماذا نريد من أطفالنا؟ ما الذي ينفرد به الإسلام في تربية الأطفال عن غيره من الشرائع؟ وهل يشك أحد في رقي الإسلام بالروح وتزكيتها؟ إن الوحيين قد اعتمدا أسلوبا لتربية الروح صفاء وسموا بالإنسان المراتب العالية و إشعاره بالحياة الطيبة والسعادة ولا يتفحص هذا إلا ذوو الهمم العالية والقمم السّامقة، لأنه يبعث

---

(97): المرجع السّابق، ص: 170.

العزيمة التي هي باب الصحة النفسية والاهتمام بالناحية الوجدانية، فما أبلغها من تربية وما أحوجنا إلى الاهتداء بنور الله في كتابه القرآن المجيد وتلك الدّعوة.[98]

يعضد كلام الدّكتور عبد الباري أعلاه صاحب هذا المؤلّف رؤية العلماء القدماء -وقد أشار الدكتور عبد الباري إلى ذلك- عن التربية وبينوا ضرورتها وحاجتها لدى الطفل فمن أبرزهم:

الإمام الغزالي: الإمام أبو حامد الغزالي هو أوفى من كتب في هذا الموضوع، وآراؤه أكثر انتشارا من غيره، وقد نادى بتكوين العادات الحسنة في الطفل منذ الصغير، بأن نعوده التبكير في النوم والتبكير في الاستيقاظ وتشجيعه على المشي والحركة الرياضية والبدنية.[99]

وللإمام الغزالي رسالة تربوية من بضع صفحات بعنوان "أيها الولد" أو"أيها الولد المحب"، يحمل عنوانها مضامين العلاقة التي يجب أن تربط بين المربي الحكيم وتلميذه، وهي عبارة عن نصائح تربوية يوجهها الغزالي إلى تلميذه ردا على سؤال.[100] وفي هذا الكتاب عرض الإمام الغزالي آراءه في عشرين نقطة عن التربية الإسلامية للطفل، مما عرفت "بمنهج الإمام الغزالي

---

(98): ملخص من كلام الدكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية في الفصل الخامس تقتضيه طبيعة الدراسة.

(99): الدكتور محمد بن أحمد الصّالح، الطفل في الشريعة الإسلامية، (ب، ن، مطابع الفرزدق التجارية، ب ت)، ص: 267.

(100): عبد الغني عبّود، الفكر التربوي عند الإمام الغزالي كما يبدو من رسالته أيها الولد، القاهرة دار الفكر العربي، ص: مقدمة.

في التربية الإسلامية" ومن أهم هذه النقاط: معاونة الطفل على إرساء قواعد الأخلاق الحميدة في نفسه، وتنمية الصفات الحسنة كالصدق والإخلاص وإرضاء الله في السر والعلن والتواضع والرحمة، والآداب العامة كالاعتدال بالكلام، والجواب على قدر السؤال، ومراعاة آداب الطعام واللباس، وتجاهل أخطاء الطفل في أول مرة ومعاقبته سرا في المرة الثانية، والحفاظ على كرامة الطفل ومشاعره، وتنمية إدراكه الحسي والعاطفي والعقلي، وتقبيح محبة المال في نفسه. (101)

ابن سينا ولا يعتبر الغزالي رائد التربويين الأوائل رغم الشهرة الكبيرة التي استحقها بجدارة، فقبل الغزالي سطع نجم عدد من أبناء الأمة، وإن لم يبلغوا ما بلغه الغزالي في هذا المضمار، ومن هؤلاء الذين أثروا التراث الإسلامي التربوي العلامة ابن سينا الذي اعتبر "أن تربية الطفل وتعويده الخصال الحميدة هي أول خطوة في بناء الإنسان السوي وذلك استباقا لترسيخ العادات القبيحة الدخيلة، التي يصعب التخلص منها إذا اعتادها وتمكنت من نفسه، وهو يرى أنه إذا اضطر المربي إلى العقوبة وجب أن يحتاط كل الحيطة، ويتخذ الحكمة في تحديدها، وقد نصح ألا يعامل المعاقب بالشدة والعنف في البدء بل باللين واللطف ويستعمل معه الترغيب أحيانا، والقوة لا تستخدم إلا في آخر الأمر وبعد أن تستعصي جميع الوسائل، منها التخويف والتوبيخ والتأنيب، ولكنه يلاحظ أيضا أن النصح والتشجيع والمدح ربما كان

(101): لطفي بركات أحمد، في الفكر التربوي الإسلامي، الرياض، دار المريخ 1982م، ص: 128-130.

أجدى أثرا بالإصلاح والبناء.. ومعنى هذا أنه يجب أن يعامل كل طفل على حدة، ويعالج كل داء بما يصلح من الدواء".[102]

وقد دعا ابن سينا إلى العناية بتربية الطفل وتأديبه منذ الطفولة المبكرة وعلل ذلك في كتاب السياسة بأن هذه الأساليب تكسب الطفل الأخلاق والعادات الحسنة، ورأى أنه إذا أهمل تأديب الطفل في هذه السن المبكرة، فقد تتمكن فيه الأخلاق الذميمة والعادات السيئة، ويصبح من الصعب الإقلاع عنها. وينادي ابن سينا بتعليم الطفل عندما يتهيأ ما يمكنه للتعليم، بداية بالقرآن الكريم، ومبادئ الدين والهجاء والكتابة والشعر.[103]

ابن القيم الجوزية: أما الإمام الفقيه ابن القيم فقد اعتنى بتربية الأطفال اعتناءً خاصا، وخصّ الطفل بكتابه أسماه "تحفة المودود بأحكام المولود" حوى كثيرا من اللمحات التربوية التي تتسق في مضمونها مع مسار التربية البنائية في الإسلام، ولتوضيح آرائه التربوية عقد -رحمه الله- في كتابه أبوابا وفصولا عديدة تتناول مختلف جوانب حياة الطفل.

فهو يرى أنه: "مما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج، الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من حرد وغضب، ولجاج وعجلة وخفة مع هواه، وطيش وحدة وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي

---

(102): مجموعة باحثين، المؤتمر الدّولي حول الطّفولة في الإسلام، القاهر، جامعة الأزهر1990م، ص: 399.

(103): د.طارق البكري، مجلات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية، رسالة دكتوراة غير مطبوعة مقدمة إلى جامعة الإمام الأوزاعي بدولة الكويت في عام 1999، ص: 50.

ذلك وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز، فضحته ولا بد يوما ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم، وذلك من قبل التربية التي ينشأ عليها، وكذلك يجب أن يجتنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء، فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر، وعز على وليِّه الاستفادة منه، فتغيير العوائد من أصعب الأمور، يحتاج صاحبه إلى استجداء طبيعة ثانية، والخروج عن حكم الطبيعة عسر جدا.[104]

اختتم الدكتور عبد الباري محمد داو كتابه "الصّحة النّفسية للطّفل" بقوله: في نهاية المطاف بداية انطلاق للآفاق:[105]

كان هذا غيض من فيض مما أرشد إليه ابن الجوزي في حديثه عن طفولة الإنسان وصباه، كما تعرض إلى النمو العقلي والذكاء لدى الطفل بإيجاز وقد فصل فيه في كتاب الأذكياء، وتمت الإشارة خاطفة لذلك في الكتاب، فمن الطفولة إلى المراهقة ومن الرعاية إلى المسؤولية والتكليف ومن موسم الزرع إلى موسم الثمر، فابن الجوزي استحسن تزويج الأب لصبيه إذا راهق وأن يذكر مراهقته في ابنه وقلّ من يؤْثر العلم على النكاح وكل هذه وقفات من كتاب ابن الجوزي بالدراسة التحليلية للموسم الأول من العمر،

---

(104): ابن القيّم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق، مكتبة دار الإحسان، 1971م، ص: 240-241م.

(105): ملخص خاتمة الكتاب المدروس للدكتور عبد الباري محمد داود "الصّحة النفسية للطّفل".

كما أن المؤلف تابع الدراسة للموسم الثاني وأطلق عليه المجاهدة نظرا لأن ابن الجوزي ذكر ما يقع من الجهاد للنفس في الموسم الثاني إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **[إنه من يتق ويصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين]** [106]، ثم أرشد المؤلف القارئ على مؤلفه التربية الإيمانية للطفل في ظل المنهج الإسلامي عن النية من الزواج وكيفية اختيار الزوجين والإنجاب والرّعاية للأطفال في ضوء الدين الإسلامي الحنيف، وهي جولة سريعة مع أحد علماء الأمة الإسلامية وأحد بلغائها وكتابها وحكمائها، وختم بقول ابن الجوزي في التنبيه: "ومن عرف شرف العمر وقيمته لم يفرّط لحظة منه، فلينظر الشاب في حراسته بضاعته، وليتحفظ الكهل بقدر استطاعته وليتزود الشيخ للحاق جماعته، ولينظر الهرم أن يؤخذ من ساعته، نفعنا الله وإياكم بعلومنا، ولا سلبنا فوائد فهمنا إنّه ولي ذلك والقادر عليه وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم"، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

والمقصود من كلام المؤلّف اختصره ابنُ الجوزي -رحمه الله-في كتابه صيد الخاطر في قوله: «رأيتُ عموم الخلائق يدفعونَ الزمانَ دفعًا عجيبًا، إن طالَ الليلُ، فبحديثٍ لا ينفع، أو بقراءةِ كتابٍ فيهِ غزاة وسمر، وإن طالَ النَّهارُ فبالنوم، وهم أطرافُ النَّهارِ على دِجلة أو في الأسواق... إلى أن قال: فالله الله في مواسمِ العمر، والبدارَ البدار قبلَ الفوات، واستشهدوا

(106): سورة يوسف، الآية: 90.

العلم، واستدلوا الحكمة، ونافسُوا الزمان، وناقِشُوا النفوس، فكأن قد حَدَا الحادي فلم يُفهم صوتهُ من وقع الندم »[107]، فهذا ابنُ الجوزي يَتَكَلَّم عن زمانه، فماذا نقول عن هذا الزمان؟!

خلاصة الفصل الخامس:

الوقت هو عُمر الإنسان، ورأس مالِه في هذه الحياة؛ ذلك أنَّ كلَّ يوم يمضي على الإنسان يأخذ من عُمره ويُقَرِّبه إلى أَجَلِه، فكان حريا بالعاقل أن يستغلَّ ويمضي هذا الوقت الذي مَنَحَهُ الله إياه فيما يرضي ربه، وأن يحقِّق لنفسِه السعادة والأمن الاجتماعي والنفسي والعقلي والخلقي في الدُّنيا والآخرة.

إنَّا لَنَفْرَحُ بِالأَيَّامِ نَقْطَعُهَا وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى جُزْءٌ مِنَ العُمُرِ

فالحرص الحرص على الوقت، والبدارَ البدارَ كما جاء في الأخبار، ولنستغلَّ وقت الشباب في الأعمال النافعة قبل المشيب، فنقول ليت الشباب يعود، فيكون حالنا كحال القائل:

بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي فَلَمْ يُفِدِ البُكَاءُ وَلاَ النَّحِيبُ
أَلا لَيْت الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ المَشِيبُ

(107): ابن الجوزي، صيد الخاطر، دار الكتب العلمية بيروت، بنان، الطبعة الأولى، 1412هـ، 1992م، ص: 146.

نتائج القراءة

❊❊❊

- **الحكم على الكتاب في الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه:**
- **موجز عن الدراسة:**

لقد تمّت هذه الدّراسة لكتاب **الصّحة النّفسية للطفل للدّكتور عبد الباري محمّد داود** بمناقشة وطرح الإشكال التالي: **إلى أي مدى ساهم الدّكتور عبد الباري محمد داود في كتابه الصحة النفسية للطفل في تبيان الأسس والمؤشرات التي تقوم عليها الصّحة النّفسيّة للطّفل في ظلّ التربية الإسلاميّة.**

صدّرت ذلك بمقدّمة تصبّ في لبّ الكتاب وجوهره و المقصود منها؛ أنّه لا سبيل للصحة النفسية والتربية الخلقية والإيمانيّة إلا بالاسترشاد والاستهداء بكتاب الله جلّ وعلا والسير على نهج سيد الأنام والنبي العدنان محمد عليه الصّلاة والسّلام، كما أشرت إلى أنّه لا بدّ من الاتفاق والانسجام بين نتائج وحقائق علم النّفس مع الحقائق المستمدة من كلام الله خالق الإنسان والعالم بكنهه وأسراره، والعدول عن اعتماد النظرة المادية في علم النفس والاهتمام بالجانب العلوي الروحي، والأولى بعلم النفس المعتمد فقط على النتائج المعملية أن يسمّى علمَ السّلوك، والتفريق بين الإنسان والحيوان

في الدراسة النفسية المبنية على التصرفات وردود الأفعال الخاصة مغفلين أن الإنسان يختلف عن الحيوان بالروح والعقل.

كما تطرّقت إلى العناصر الأساسية التي تصيب كبد الكتاب فتعرضت بادئ ذي بَدء إلى دراسة مراحل نمو الإنسان عند ابن الجوزي من خلال الكتاب المدروس وحققت الكلام في هذه المواسم والمراسم، فتم توضيح المراحل بصفة دقيقة مفصّلة بعدما جاءت مجملة مدمجة من قبل الدكتور عبد الباري، وتجدر الإشارة إلى أنّه وتتميما للفائدة من الكتاب، قمت بمقارنة بين تقسيم ابن الجوزي مع علم النفس التكويني الحديث وألفيت أنه يتفق معه أحيانا ويختلف أخرى، كما تم التطرّق لرأي ابن الجوزي -رحمه الله- في مرحلة ما قبل الولادة وما يكون فيها من الاهتمام بجميع النواحي النفسية والصحية والعلاقات الاجتماعية بالأم حتى لا ينعكس شيء من المؤثرات الضارة على الجنين، وهذه المؤثرات التربوية والنفسية لم يذكرها ابن الجوزي، لأنه كتب عن التربية بعمومها ولم يكتبها بدقة كما حددها بعض علماء التربية المسلمين أمثال الغزالي وابن القيم... إلخ، كما تمّ شرح بعض كلام المؤلف وتحليله وكان المقصود من البعد عن كل ما يؤثّر سلبا على صحّة الطّفل النّفسية وينأى بالأطفال إلى الانحلال والفساد الأخلاقي وانتشار الأمراض النفسية الخطيرة جرّاء التقليد الأعمى لغير المسلمين لأنّنا أخذنا الخبيث منهم ولم نقبس من الطّيبات إلاّ القليل.

أما فيما يخص نمو الإنسان ووجوده فقد ناقشت هذه الفكرة وأيدتها من خلال مؤلّفات من نفس الحقل بلوغا إلى رؤية علم النفس

الحديث الذي بنى فهمه للنّفس الإنسانيّة على أساس من الظّنون والأوهام بسبب عدم علمه بالعلم الإلهي الذي خصّ الله به المسلمين فيما يتعلّق بأصل النّفس وحقيقتها، وتكوينها، وهو العلم الذي يستحيل بدونه بناء فهم سليم للنّفس الإنسانيّة مهما تقدّمت وسائل التجريب؛ لأنّ النّفس ليست شيئا، وليست مجرّد مادة حيّة يمكن إخضاعها للفحص التجريبي، وإنّما هي كائن مركّب من جانب مغيب لا سبيل للعلم به إلاّ بتعليم من الله، وجانب مشهود يمكن العلم به علما جزئيا ونقول جزئيا لأنّ الجانب المحسوس من الإنسان مرتبط بالجزء المُغيّب، ولا يمكن فهمه فهما صحيحا إلاّ به، وكذلك أطوار الإنسان أشرت إلى أنّ ابن الجوزي ومن بعده مرورا بالمؤلّف ناقشوا الفكرة مستندين لينبوعين اثنين كتابِ الله عزّ وجلّ، وسنّةِ رسول الله، فذرية آدم عليه السلام باستثنائه هو وزوجته وعيسى عليه السّلام، كلّها مرّت بالمرحلة التكوينية أما الترابية والطينية فهي الأصل الذي يشترك فيه الجميع ومن هنا لا بدّ من التركيز على المرحلة التكوينية التي فيها ردّ على نظرية داروين، وناقشت المرحلة التكوينية بين ابن الجوزي والعلم الحديث، أعني (النطفة والعلقة والمضغة) في حين كان التنويه إلى أنّ ابن الجوزي لم يفسّر مرحلة العظام واللّحم كما فعل في الثلاث الأول، ثم بينت أنه لا بدّ من تحديد الوسيلة المناسبة للمرحلة العُمرية، التي تتناسب مع خصائص نموها، وربما لم يحدّد ابن الجوزي الأسلوب التربوي المناسب لكل مرحلة، لأنه لم يكتب في جوانب التربية كتابات متخصصة كما يكتب المتخصصون في هذا العصر، كما تم شد عضد الآراء المنبثقة عن المؤلَّف حول عاطفة الأمومة ودفء

العلاقة والطفل وأثر الوالدين بصفة عامة بكلام من جنسه من قبل متخصصين في المجال يشدّ بعضه بعضًا، وكذلك تطرقت إلى شرح بعض المفاهيم التي تخدم الموضوع والمصطلحات التي أتى بها المؤلف بكلام يكون سببا في حصولها لمفهوم الصحة النفسية، هذا المصطلح النسبي الذي يحتاج إلى ضبط حدوده وماهيته، وتمت الإشارة إلى المفهوم من المنظور الإسلامي الذي حث المؤلّف على السير جاهدا لبلوغه، ومفهوم العوامل المؤثّرة في الشّخصيّة، والترغيب و الترهيب ،والخوف والأمن النفسي ...،كما أشرت إلى كلام الدكتور محمد عثمان نجاتي -الذي له باع في هذا المجال حتى إنه يذكر أنه أول من استعمل مصطلح علم النّفس الإسلامي وللإشارة فقد كان هذا الأخير من المراجع الأساسية للمؤلف- في رؤيته لها تعزيزا لكلام صاحب الكتاب فيما يخص أن الإنسان كيان واحد ممتزج بين الجسد والروح ولا بد من الاتزان ومجانبة الصراع، كما تمت الإشارة إلى عناية الإسلام بالوليد حتى قبل ولادته في سياق كلام الدكتور عبد الباري إلى رعاية الإسلام بالطفل منذ ولادته، والشرح بالتفصيل لِما ذكره المؤلف من تأثير الأركان الستة للإيمان في الأمن النّفسي، ثم تمّ التوضيح فيم تتفق المدرسة والأسرة وفيم تختلفان، كما تمت الإجابة عن بعض الاستفهامات التي أوردها الدكتور عبد الباري محمد داود في هذا الكتاب في سياق الاستطراد في الكلام عن دور مؤسسات المجتمع في التربية والعناية بالطفولة غرضها النصح والإرشاد والتنبيه والتحفيز والتقويم، وحينما ذكر المؤلف موسوعية وتكامل المدرسة التربوية الإسلامية قمت بتبيِين الخصائص التي تتسم بها التربية الإسلامية على لسان

الباحثة ناهد عبد الوهاب محمد صديق، وفي أثناء ذكره للأمن الاجتماعي بسطت القول: في أنه حاجة ضرورية ملحّة لأي مجتمع؛ لأنه يتعلق بأبناء هذا المجتمع بمختلف الشرائح (ذكورًا وإناثًا، كبارًا وشبابًا وأطفالًا، مواطنين ومقيمين، مهما تنوعت الديانات والمذاهب والقوميات والعروق).

كما سقت كلاما لبعض أعلام الأمّة الإسلاميّة في التربية وحاجتها وضرورتها للأطفال كالإمام الغزالي وابن سينا وابن القيم، وفي الختام قمت بذكر كلام لابن الجوزي يلخص المقصود من الكتاب في استثمار الوقت واغتنامه فيما يرضي الله عز وجل وإعداد الإجابة عن **سؤال: وعن عمره فيمَ أفناه؟**

- **هل بلغ المؤلّف المقصد الأسمى الذي رامه من خلال هذه الرّحلة في الصّحة النّفسية للطّفل؟**

لقد وضع علماء النّفس أسسا عامّة[108] ترتكز عليها الصّحة النّفسيّة وبالمقارنة والموازنة مع الكتاب الذي أنا بصدد دراسته ندرك مدى بلوغه القصد من خلاله ومدى قيمته العلميّة وهي -أي الأسس- كالآتي:

الأساس الأوّل: معنى الصّحة النّفسيّة:

الصّحة النّفسيّة لها ثلاثة مناهج: المنهج العلاجي وهو ما يتّبع لعلاج الفرد من الانحراف في الصّحة العقليّة حتى يعود إلى حالة الاعتدال، ولدينا المنهج الوقائي وهو الطّريق الذي يسلكه الفرد مع نفسه ومع غيره حتى يقيَ نفسَه وغيره الوقوعَ في حالة اضطراب نفسي، وهناك المنهج الإنشائي وهو ما

(108): ينظر، الدكتور عبد العزيز القوصي، أسس الصّحة النّفسيّة، الطبعة الرّابعة منقحة، 1371هـ، 1952م، مكتبة النهضة المصريّة، ص: د(مقدّمة).

يحتذيه المرءُ ليزيد شعورَه بالسّعادة، وليزيد كفاءته إلى أقصى حدّ مستطاع ومن أمثلته ما يقوم به بعض النّاس من محاولات لتقوية الذّاكرة أو الخيال، أو الإرادة، أو الشّخصيّة[109]، **قياسا على ذلك نجد أن الدّكتور عالج الصّحة النّفسية وفلسفتها وركّز على وسائلها واتخذ الأساليب الواردة** العلاجية والوقائيّة والإنشائية فقد بحث في تكوين الأفراد، وفي علاجهم ووقايتهم من العيوب السّلوكية والنّفسيّة في مراحل نموهم ولذلك تحتّم عليه أن يدرس الفرد وأسرته، وفي أثناء تعلمه بالمدرسة في أثناء اضطلاعه بعمله في الحياة وحتى من حيث علاقاتُه بالمجتمع، ومجموعة القُوى التي تؤثّر فيه، ويظهر ذلك في نماذج كثيرة من قوله: «ومن التدابير النّاجحة التي يلزمنا اتخاذها كي ننقذ الطّفولة البريئة من الانحلال والتّفسّخ الحضاري والتردّي السّلوكي والاجتماعي والخُلقي عودة البيت إلى إطاره الإسلامي، إحياءً للتعاليم السّامية حيث الأمومة الدّافئة الصّادقة، بحنانها الفطري الشّامل، ورحمتها الحانية الشفيقة... إلى قوله: فينمو على الإيمان ويحيا على العبودية لله تعالى»[110]، وقوله: «ومن القواعد المتفق عليها الآن أنّ أول أساس للصّحة النّفسيّة إنّما يستمد من العلاقة الحارّة الوثيقة الدّائمة التي تربط الطّفل بأمّه أو من يقوم مقامها بصفة دائمة».[111]

(109): ينظر، المرجع السابق، الدكتور عبد العزيز القوصي، أسس الصّحة النّفسيّة، ص: 4.

(110): الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2004م، ص: 28.

(111): المرجع السابق، الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، ص: 54.

وقوله: «واللعب هنا وسيلة للصحة النفسية»[112] وقوله: «وحب الأبوين هو بيت القصيد.. إلى قوله: من الأساليب التي يعتمدها الوالدين في سبيل تعامل سوي مع الطفل لبلوغ الصحة النفسية... إلى قوله: العطف على الطفل وغمره بالحب بدون قيد».[113]

الأساس الثّاني: الوراثة والبيئة:

إنّ البيئة المثالية للفرد هي التي تهيئ للوصول إلى أحسن نموّ ممكن في الحدود التي وضعتها العوامل الوراثيّة فالتغذية والرّياضة البدنية وما إليهما لا تخلق من الأقزام عمالقة والعناية التعليميّة، والدّروس الخصوصيّة، وحبك النظم لا يخلق من ضعاف العقول مثلا عباقرة ولا عاديين وإنّما يمكن أن نهيئ البيئة بعواملها المختلفة بحيث نحصل على أحسن نتيجة يمكن الحصول عليها حسب الاستعداد الوراثي[114] وارتكازا على هذا الأساس فإن الدكتور عبد الباري محمد داود قد تناوله وقدم لنا زبدة القول في العوامل المحدّدة للشخصية، فقد وضع نصب عينيه الفروق الفرديّة من ذكاء ومزاج وتكوين جسمي وما شابه ذلك وفي هذا فائدة في التشخيص والتوجيه والعلاج ودليل ذلك قوله في كتابه الصحة النفسية للطّفل: «إنّ العوامل المحددة للشخصية إذن يمكن أن تصنف إلى مجموعتين رئيستين:

(112): المرجع السابق، الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، ص: 55.

(113):المرجع السابق ،الدكتور عبد الباري محمد داود،الصحة النفسية للطفل،ص:85.

(114): ينظر، المرجع السابق، الدكتور عبد العزيز القوصي، أسس الصّحة النّفسيّة، ص: 62.

عوامل وراثية: وهي عوامل منبعثة من تكوين الفرد ذاته، وعوامل بيئية: وهي عوامل منبعثة من البيئة الاجتماعية والثقافية، بل إنه زاد العامل الروحي الذي يتناساه علماء النفس مصداقا لقولهم: إن هذا العلم داخل فيما يصلح ملاحظته وإخضاعه للبحث في المختبرات العلمية »[115]، وانظر إلى قوله في موضع آخر: «وتتفاعل العوامل الوراثيّة المختلفة مع عوامل البيئة عضوية كانت أم غذائية أم نفسية أم عقلية أم اجتماعية أم غير ذلك من الألوان المختلفة للبيئة.. إلى قوله: تصبح نسيجا نفسيا اجتماعيا يحيا الطفل في إطاره».[116].

الأساس الثالث: الجسم والعقل وأثركل منهما على الآخر:

من الضروري أن ندرس ما بين الحياة الجسمانية والحياة العقلية من رابطة، وليس معنى هذا أننا ننوي أن نبحث كنه العلاقة بين الحياة الجسمية والحياة العقلية فهذا بحث تحطّمت أمامه جهود أئمة الباحثين لا سيما ديكارت ومن أتى بعده، ولم يصلوا فيه إلى الآن إلى نتيجة مرضية ولكن الذي نقصد إليه هو أن تتبين على قدر الإمكان مدى هذه العلاقة، حتى يمكننا أن نستفيد من هذا في تشخيص بعض الحالات وفي محاولة معالجتها، والحقيقة أنه توجد علاقة بين الحياة الجسمية والحياة العقلية للفرد، وأن من اللازم عند دراستنا لمشكلات الصّحة العقلية أن ندرس الناحية الجسمية دراسة مستفيضة فكثير من الأعراض الجسمية يمكن أن نعثر لها على

(115): المرجع السابق، الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، ص: 69.

(116): المرجع السابق، الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، ص: 79.

عوامل عقلية وكذلك الأعراض العقلية يمكن في كثير من الحالات أن نعثر لها على عوامل جسمية.[117]

بيد أنّ المؤلّف أشار بومضات سريعة خاطفة حول هذا الأساس غير أنّه لم يفرده بعنصر مستقلّ ويظهر ذلك في قوله: «فالإنسان جسد حي من لحم ودم وعصب وعظم، يحتاج إلى المأكل والمشرب والمنكح والملبس.. إلى قوله: «ولو كان الإنسان بلا عقل لكان بهيمة بهماء ودابة عجماء»[118]

الأساس الرّابع: الغرائزوالحاجات:

من المستحسن توجيه الغرائز والحاجات مع مراعاة مسايرتها، إذ لا يجوز الوقوف في وجهها، مهمتنا يجب أن تنصب على إعلاء الغرائز وتوجيهها الوجهة المقبولة، ولا يجوز أن تصبح مهمة المربي محاولة بتر الغرائز أو الحاجات أو اقتلاعها، فإن كان لدينا طفل وبرز عنده الميل للظهور أو لإثبات الذّات فعلينا أن نوجه هذا الميل وجهة مقبولة للطّفل وللمجتمع.[119]

لقد تناول الكاتب في مؤلفه هذا الجانب و يظهر ذلك في كلامه عن الغريزة والفطرة والفرق بينهما: «فهي إذًا الفطرة لا الغريزة فيقال: فطرة التدين، وفطرة حبّ الحياة، والبقاء... إلخ»[120]

---

(117): ينظر، المرجع السابق، الدكتور عبد العزيز القوصي، أسس الصّحة النّفسيّة، ص: 29و58.

(118): المرجع السابق، الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، ص: 73.

(119): ينظر، المرجع السابق، الدكتور عبد العزيز القوصي، أسس الصّحة النّفسيّة، ص: 82.

(120): المرجع السابق، الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، ص: 77.

وقوله: «والإنسان يتضمن في شخصيته صفات الحيوان المتمثلة في الحاجات البدنية التي يجب إشباعها من أجل حفظ الذات وبقاء النّوع»[121]، فقد بين المقصود من هذا المبدأ.

الأساس الخامس: تكامل الشّخصيّة (العواطف والخُلق):

وهنا يمكننا أن نوفّق بين آراء علماء التربية، فبعضهم يرى أنّ الغرض من التربية الخُلقيّة هو تكوين شخصيات قوية ومتماسكة، وبعضهم الآخر يرى أن الغرض منها هو الزيادة في سعادة الإنسان عامة، والحقيقة أن أحد الغرضين نتيجة طبيعية للآخر، ويدلّ ما تقدم على ما يوجد من اتفاق تام بين غايات التربية وغايات الصحة العقلية، ما دام كل منهما قائما على أسس معقولة.[122]

نوّه الدكتور عبد الباري محمد داود عن هذه القاعدة بقوله: «وتعدّ هذه القيم الروحية والخلقية هي الركيزة الأساسية للتكيف النفسي السليم... إلى قوله: فيبني الطفل حياته وشعوره بالسعادة بإسعاده وراحة الآخرين»[123]، وقوله: «والجدير بالذكر أن التربية الخلقية التي تكفل لأطفالنا وجاءً خلقيا يعصمهم من الزلل ويجنبهم الوقوع في براثن الآثام... ولذا فالتربية الخلقية التي تغرس في نفوس أطفالنا إنما تبتعد بهم عن تجنب الشر والإقبال على الخير فيصبح هؤلاء الأطفال متحلين بمكارم الأخلاق والفضائل

(121): المرجع السابق، الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، ص: 77.
(122): ينظر، المرجع السابق، الدكتور عبد العزيز القوصي، أسس الصّحة النّفسيّة، ص: 100.
(123): المرجع السابق، الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، ص: 85.

العليا، كحبّ الخير والإيثار والإحسان والقوة والمحبة»[124]، وبلوغ المقصود وغير ذلك كثير في الكتاب.

الأساس السادس: انحلال الشخصية (اللاّشعور):

ومعناه أن هناك دلالات مرّت بالعقل يمكن أن تؤخذ لما يصح في المستقبل، فإن كان لي قريب مريض جدا فهذا دلالته يمكن أن نتوقع معها ما يصح أن يحدث من وفاته، وتخفى هذه الدلالة في اللاشعور عادة لأسباب عدّة منها محبّة المريض، أو الانشغال بالحياة اليومية أو ما إلى ذلك ويمكن أن تتحقق الرغبات في عالم اللاشعور النوم أو السكر مثلا[125] ذكر شيئا من هذا في كلامه: «وهذا الاستعداد الفطري عرضة لأن تطمره الغفلة، ويغمره النسيان ويطويه اللاشعور» ووصلت الفكرة.

الأساس السّابع: العمليات العقلية اللا شعورية:

تبرير يفسر به الولد عملا اعتدائيا يقوم به ليشعر بمهارته فيعوض بذلك عن فكرته عن نقصه لصممه وبكمه[126] أشار إلى ذلك في أثناء كلامه عن ضبط سلوك الطفل، ونموه الانفعالي وإشباع حاجاته بقوله: «وكثير من حالات السرقة والهروب من المنزل ومشكلات انحراف الأحداث سببها جفاء

(124): المرجع السابق، الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، ص: 179.

(125): ينظر، المرجع السابق، الدكتور عبد العزيز القوصي، أسس الصّحة النّفسيّة، ص: 162.

(126): ينظر، المرجع السابق، الدكتور عبد العزيز القوصي، أسس الصّحة النّفسيّة، ص: 142.

الآباء وخلو المنزل من العطف»[127] فهو دائما يستهدف الوقاية والتحصين والوجاء.

الأساس الثّامن: مراحل نمو الفرد:

مرحلة الطفولة هي مرحلة نمو مستمر للفرد في جميع نواحيه، وتبعا لذلك نجد أنها مرحلة مرونة وقابلية للتربية والتعليم[128] **وفي هذا لا يختلف اثنان من كون الكتاب أسس بنيانه على الرسالة اللطيفة لابن الجوزي "تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر"** وجلّ الكتاب يستهدف هذه المراحل وما يكون فيها وما يناسبها من التربية والرعاية النفسية والصحية والعقلية والاجتماعية والنفسية من طرف الأسرة والمدرسة والمجتمع وانظر إلى كلام المؤلّف عن ابن الجوزي في قوله: «وانتقل إلى كلّ مرحلة في إيجاز ينبئ عن حكمة القائل وسعة علمه، ويظهر أنه إذا ترك له الكلام لكان فارس الميدان كعالم متخصّص في أحوال النّفس عند الإنسان وتربوي ممعن في فهم القرآن واستجلاء الأحكام والأفهام والتدليل على ما يقول بالبرهان»[129] ونظير هذا في كلام المؤلّف كثير،علما أنّ المؤلف اقتصر في كتابه هذا فقط على جزء من نصائح ابن الجوزي ووعد بإتمام بسط الكلام في الأجزاء المتبقية من اغتنام وأهمية مراحل العمر الأخر كالمراهقة وغيرها.

(127): المرجع السابق، الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، ص: 99.

(128): ينظر، المرجع السابق، الدكتور عبد العزيز القوصي، أسس الصّحة النّفسيّة، ص: 145.

(129): المرجع السابق، الدكتور عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، ص: 14.

إن هذا الكتاب يمتاز بعدة ميزات:

يرى المؤلف أنّ الأمة أنجبت –خلال تاريخها الطّويل- الكثير من العلماء الأفذاذ الذين كان لهم دور كبير في استخلاص العديد من الأسس والمبادئ التي تقوم عليها التربية الإسلامية من خلال دراستهم تعاليم القرآن الكريم وسنة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ومن خلال تطبيقهم مناهج الفكر الإسلامي في التربية ومن هؤلاء العلماء الإمام جمال الدّين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي المتوفّى سنة 597هـ (سبع وتسعين وخمس مائة من الهجرة النبوية الشّريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم)، والذي صنّف أكثر من أربعمائة مؤلف ما بين مطبوع ومخطوط، وهذا الكتاب من عوامل الاستفادة من تراث المسلمين في مجال علم النفس والتربية.

أولها: أنّه يتصف بكل مواصفات البحث العلمي، يعتمد على أمّهات الكتب في حقل الصّحة النفسية والتربية الإيمانية والخلقية للإنسان بصفة عامّة وللطّفل على وجه الخصوص ابتداءً بكتاب الله جلّ وعلا وسنة رسول الله عليه الصلاة والسّلام وأقوال العلماء الأقدمين كابن الجوزي والمحدثين كمحمد عثمان نجاتي وغيره.. وهذا يظهر في الكتاب المدروس برمّته ومن ذلك في قوله: «والمنهج الذي اعتمدناه هو منهج القرآن لإيماننا أن من يرد الوجاء والوقاية والحماية والحصانة فعليه بالقرآن، ومن يرد الشّفاء والعافية ومداواة النّفس فعليه بالقرآن، والطّفل في رعاية الإسلام يجد ما يكفل له صحةً نفسيةً سوية وسليمة... إلى قوله: فالطّفل في مراحله الأولى يحتاج إلى صقل وتربية وحصانة ولا يكون ذلك إلا باتباع كتاب اللّه في توجيهاته وشرع

الله في كفالته وحضانته وما أشار إليه رسول الله في سنّته ومسيرته»[130]، وكذلك قوله: «جاء العالم الهُمام وعرض لنا من رسالته "تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر" التربية الإسلامية ومراعاتها لمراحل نمو الإنسان، مهتديا بالقرآن في إشارته لكل مرحلة من مراحل نمو الإنسان ما يناسبها من العلم والأدب والسّلوك، الذي يستقيم به حالها، وهذا ما غفله علماء النفس الآن». [131]

ثانيها: كتاب ذو قيمة علمية حيث إنّه يتناول بعض آراء ابن الجوزي التربويّة بل أساسه وأصله كتاب ابن الجوزي "تنبيه النّائم الغمر في مواسم العمر" وتحليلها والنصح بها لتربية الأبناء.

ثالثها: إنّه يعقد مقارنة بين شخصية ابن الجوزي مع بعض شخصيات قرنائه، وبيّن آراءه التربوية وآراء تربوية لأحد المعاصرين في المجال نفسه، للتعرّف على آثار الزّمان والعصر، على بناء شخصية الإنسان وعلى نهج تفكيره وآرائه، فهو منهج لتأصيل علم نفس إسلامي.

ورابعها: إنّه لا يكتفي بوضع آراء ابن الجوزي التربوية على بساط البحث، بل يعقد دراسة لوجوه الاستفادة من تلك الآراء ومن منهجه وطريقة اجتهاده في حياتنا المعاصرة.

---

(130): عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطّفل، إيتراك للطباعة والنّشر والتوزيع، 2004ن، ص: 4.

(131): المرجع السابق، ص: 10-11.

خامسها:

أ- تأصيل للفكر التربوي الموجود اليوم عند علماء المسلمين، ومحاولة لامتصاص موجات الإعجاب والانبهار والتّبعيّة للفكر التربوي الغربي، ونظرياته المعاصرة التي طغت على عقول الكثير من أبناء هذا العصر مفكرين وعامين.

ب- الآراء التربوية في الكتاب في معظمها نابعة من الوحيين العظيمين،كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلّم الشّريفة، ولا تخفى حاجة عصرنا الرّاهن إلى مثل هذا النّوع من الآراء التربوية لمواجهة تيار التغريب وطمس الشّخصية الإسلامية.

ج- هذه الآراء التربوية متناثرة في ثنايا مؤلّفات هذه الشّخصيّة، مما يجعلنا نستفيد منها بمثل هذا المؤلف الزاخر بالصحة النفسية المبنية على التصوّر الإسلامي.

ومع كتاب فريد لباحث مجيد؛ نجد أنفسنا مع كاتب وباحث متميز يمتلك قدرات علميّة وأهداف عالية وطموحة ومواصفات بحثية مثل الصّبر والجلد والإخلاص والكتابة عن قناعة والشعور بالمسؤولية واستهداف خدمة الدّين والأمة، وهذه المواصفات ما تجتمع في شخص إلا أنبأت عن حسن قصده وبلوغ مآربه ودليل ذلك ما كتبه وآثاره في هذا المجال وما أشار إليه من أنّه سيواصل الموسم الثاني من كلام ابن الجوزي.

الاعتراضات والانتقادات الموجّهة للكتاب:

من الناحية الشكلية المنهجية للبحث العلمي فالكتاب المعتمد المدروس يخلو من الفهرس بالشكل المتعارف عليه في مناهج البحث العلمي.

أما الناحية الموضوعية فإنّ الدكتور عبد الباري محمد داود يسعى إلى تكوين علم نفس قائم على أسس ومبادئ الإسلام، وهذا ما يصطلح عليه "علم النّفس الإسلامي" ورآه الدّكتور محمد عثمان نجاتي مناسبا للدلالة على ذلك المسعى، وقد اعترض على هذا المصطلح بعض علماء النّفس مستنكرين وصف العلم بأنّه مسلم أو غير مسلم، فالعلم علم وكفى، أيّ أنّه علم يبحث في السنن، أي في المبادئ العامّة والقوانين التي تحكم ظاهرة معينة وليس من المقبول أن نصفه بالإسلامي.[132]

✓ البعض يرى أن (إسلامية المعرفة) هي (كهانة-كنسية)جديدة في دوائر المعرفة، تريد أن تجعل للعلوم والمعارف الإنسانية نوعا من القدسيّة، وتفرض نوعا من الحجر على اجتهادات العلماء الفكرية، كما كان شائعا أثناء العصور الوسطى المسيحية من سيطرة الكنيسة ومعاداتها للعلم والعلماء.

✓ والبعض يرى أن إسلامية المعرفة تعني انفصالا وانعزالا عن دائرة العلوم والمعارف التي أبدعها العقل الإنساني في المجتمعات غير الإسلامية، ممّا يؤدّي إلى زيادة انغلاق المجتمعات الإسلامية وعدم تمكنها من ملاحقة حركة التقدّم العلمي والتكنولوجي في البلاد الأخرى من العالم.

---

(132): ينظر، دكتور محمد عثمان نجاتي، مدخل إلى علم النفس الإسلامي، دار الشروق، ط 1، 1422هـ، 2001م، ص: 17.

✓ والبعض يرى أن إسلامية المعرفة لا تعني أكثر من إضافة بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، إلى قوانين العلوم واكتشافاتها الحديثة، لبيان وجود علاقة بين الدين والعلم.[133]

هذا الكتاب يمدّنا بصورة واضحة عن تصور ابن الجوزي عن الإنسان وحياته النفسانية، وهو محاولة لشرح الأسس الضرورية التي يمكن أن نقيم عليها صرح هذا العلم الجديد ألا وهو علم النفس الإسلامي بهدف الوصول إلى فهم دقيق للتصور الإسلامي للإنسان ومعرفة وجهة نظر الإسلام في العوامل الرئيسية للشخصية السوية والصحة النفسية وأسباب الانحراف والشذوذ والمرض النفسي والطرق السليمة لتعديل السّلوك والعلاج النفسي، وأسباب سعادة الإنسان وأسباب شقائه، ومنهج الحياة الأمثل للإنسان لكي يعيش عيشة آمنة مطمئنة سعيدة.

فهذه المعرفة ضرورية لكي نفهم شخصية الإنسان -الطفل خاصة- فهما سليما، بحيث نكون أقدر على معرفة أسباب انحرافه وشقائه ومرضه النفسي، وأقدر على توجيهه وإرشاده وعلاجه.

(133): ينظر، المرجع السابق، دكتور محمد عثمان نجاتي، مدخل إلى علم النفس الإسلامي، ص: 18-19.

خاتمة

***

من ثمرات قراءة هذا المؤّلف الذي يُعنى بالصّحة النفسيّة للأطفال ما يلي:

بعد القرآن الكريم والسّنة النبوية المطهّرة كان لعدد من العلماء المسلمين دورا كبيرًا في استخلاص العديد من الأسس والمبادئ التي تقوم عليها التربية الإسلاميّة من خلال دراستهم تعاليم القرآن الكريم وسنّة الرسول عليه الصّلاة والسّلام، ومن خلال تطبيقهم مناهج الفكر الإسلامي في التّربية.

وقد تمكن هؤلاء العلماء من تسجيل هذه الآراء في كتاباتهم وترجموها في سلوكياتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، فكانت أعمالهم خير برهان على أصالة التربية الإسلامية وتكاملها، لهذا فنحن بحاجة إلى دراسة التّراث التربوي لأولئك العلماء، للاستفادة من تراثهم ولتأصيل التربية التي نحن أحوج ما نكون إليها في وقتنا الحاضر لأنّها خير وسيلة لتسير الأمة على نهجها، ولإنقاذ أبنائها من ضياع الشّخصية من الانحرافات التي نشاهدها في الأطفال والشباب لهذا إذا جاز لأمّة أن تتعثّر في وضع أسس تربوية تنشئ عليها أبناءها أو تضطرب في البحث عن أهداف تربوية تحمي أجيالها من الزّلل فإنه لا يُغتفر لأمّتنا الإسلامية أن تتجرّع غُصص الحيرة في هذا السّبيل لأنّ أمتن الأسس التربوية وأرفع أهداف التربية والتعليم موجودة بين أيدينا متمثّلة بعقيدة هذه الأمّة وقواعد هذا الدّين وتوجيهاته وتعليماته التي أنعم الله بها علينا ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ الإمام جمال الدّين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي المتوفَّى سنة 597هـ وكان الفضل بعد الله عز وجلّ

للدكتور عبد الباري محمد داود الذي جعل بين أيدينا هذا الميراث القيّم والأثر الطيب بالشرح والبسط والتفصيل والتوجيه والنصح والإرشاد والإثراء.

مجمل النتائج:

النتائج بعناوينها الأساسية هي الآتية:

1) الكشف عن الفكر التربوي لابن الجوزي واستخراج المبادئ والتّوجيهات والأساليب التربوية لديه.

2) تقويم آراء ابن الجوزي التربوية في ضوء القرآن الكريم والسّنة،وبيان مدى أصالة هذه الآراء وثباتها لأنها مستمدة من المنهج التربوي الإسلامي.

3) أسبقية ابن الجوزي لعلماء التربية وعلم النفس الحديث في بعض آرائه التربوية النفسية.

4) إمكانية الاستفادة من التوجيهات والمبادئ التربوية لابن الجوزي في تعليمنا وتربيتنا المعاصرة.

5) تحليل الدكتور عبد الباري محمد داود للصحة النفسية وتقديم معالجات لبعض الحالات النفسيّة المرضية معالجة إسلامية فذّة.

6) من سمات الصحة النفسية والتربية السليمة حسن الأدب تجاه الوالدين والمدرسين والمجتمع ككل وهذا صميم ما أشار إليه ابن الجوزي.

وتمت الاستفادة من خلال هذا المؤلَّف المعتمد كتاب ابن الجوزي

لقد اهتمّ الدكتور عبد الباري محمد داود من خلال اعتماده رسائل ابن الجوزي بمرحلة الطّفولة اهتماما كبيرا من جميع الجوانب الخلقية والعقلية والصّحية والعلمية والنفسية والاجتماعية، لِمَا لها من عظيم الأثر في بناء وتشكيل شخصية الطّفل ثمّ بيّن أثر الوسائط التربوية في تربية الطفل، والدور الفعال لكل من الأسرة والصحبة سلبا وإيجابا كما ذكر العديد من الأساليب التربوية المناسبة لتهذيب الطفل وتقويمه، مثل التربية بالقدوة أو التربية بأسلوب الثواب والعقاب أو عن طريق أسلوب الرسائل التربوية (الكتابة والتأليف)، كذلك حدّد المنهج التعليمي للطفل في مرحلة ما قبل الدراسة النظامية والدراسة الإلزامية وأهم الفروق الفردية بين الأطفال وأهمية رعايتها في التعلم والسلوك.

المصادر والمراجع:

- ابن الجوزي، تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، من كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية، بيروت دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، 1401هـ، 1981م.
- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن، أحكام النّساء، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،
1405هـ، 1985م.
- الغزالي، إحياء علوم الدّين، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1406هـ، 1986م.
- ابن الجوزي، زاد المسير في علم التّفسير. دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، للطباعة والنشر، الطّبعة الأولى، 1384هـ-1964م، الجزء الخامس.
- البار، خلق الإنسان بين الطّب والقرآن، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1400هـ،
1980م.
- البار، الوجيز في علم الأجنّة القرآني، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1405هـ
1985م

بدر محمد ملك، د.لطيفة حسين الكندري، التغلب على الخوف عند الأطفال، سلسلة تربية الأبناء والبنات، الصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية.

- هشام أحمد غراب، الصحة النّفسية للطّفل، دار الكتب العلميّة.
- هواري أحمد مجيد، الأمراض النفسية، الطبعة الأولى 2016، الجنادرية للنشر والتوزيع.
- هاني السيد العزب، القائد الصغير ضرورة لبناء مستقبل جديد، المجموعة العربية للتدريب والنشر، 2015.
- حمزة بن خليل المالكي وأ.علي عبد الرحمن أحمد بانقيب، التنبؤ بالأمن النفسي من المناخ الأسري لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية.
- حامد، عبد السلام، علم نفس النمو، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الرابعة، 1977م.
- طارق البكري، مجلات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية، رسالة دكتوراه غير مطبوعة مقدمة إلى جامعة الإمام الأوزاعي بدولة الكويت.
- يالجن، د.مقداد، بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، الرياض، دار المريخ، طبعة 1408هـ، 1987م.
- يحي حسين كتابا بعنوان: (عظماء اشتهروا بأمهاتهم) ذكر فيه نخبة متميزة أثرت في التاريخ وغيرت مجرى الحياة، يراجع مقال: (هل عام 99 هو

عام الحزن) لجاسم المطوع، مجلة: (ولدي (الكويتية- العدد الثالث عشر- ديسمبر 1999م،.

- لطفي بركات أحمد، في الفكر التربوي الإسلامي، الرياض، دار المريخ 1982م.
- محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، الطبعة السابعة، 1421هـ، 2001م، دار الشروق.
- محمّد عثمان نجاتي، الحديث النّبوي وعلم النّفس، دار الشروق، الطبعة الخامسة.
- محمد البيحاني، إصلاح المجتمع، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 1972.
- محمّد راتب النّابلسي، تربية الأولاد في الإسلام 1994م.
- محمد عثمان نجاتي، مقدمة لترجمة كتاب معالم التحليل النفسي لفرويد.
- محمد عثمان نجاتي، مدخل إلى علم النّفس الإسلامي، الكويت.
- محمد رشاد خليل، علم النّفس الإسلامي العام والتربوي -دراسة مقارنة- ، الكويت دار القلم،1987م.
- محمد المهدي، الصحة النفسية للطفل رؤية واقعية من العيادة، كلية طب دمياط، جامعة الأزهر.

- محمد أحمد عرسان الزعبي، تطوير مقياس للصّحة النّفسيّة والكشف عن العوامل المؤثّرة فيها من منظور تربوي إسلامي، كلية الشريعة والدّراسات الإسلامية، جامعة اليرموك الأردن، 1438هـ، 2017م.
- محمد قطب، في النفس والمجتمع، ط: 2، القاهرة، مكتبة وهبة 1962.
- محمد محمود عبد الإله، عناية الإسلام بالطفولة حتى قبل الإنجاب، أمواج للنشر والتوزيع.
- محمد عبد الفتّاح المهدي الصّحة النّفسيّة للطّفل، مكتبة الأنجلو المصريّة، د.استشاري الطب النّفسي وصاحب العديد من الإصدارات في مجال هذا العلم.
- محمد علي رحمة، المنهج الإسلامي في تحقيق الصحة النفسية (2-2).
- موسى نجيب موسى معوض، حاجات الطفولة1، الألوكة الاجتماعية مجتمع وإصلاح، 2012م، 1433هـ
- محمد عبد السلام العجمي وآخرون، تربية الطفل في الإسلام: النظرية والتطبيق، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، 1425هـ-2004م.
- محمد فيصل عثمان، المدرسة المعاصرة (قضايا ونظريات حديثة)، الطبعة الأولى، دار خالد اللحياني للنشر والتوزيع، 2016م.
- محمد بن حسين بن حسن، معالم أول الفقه عند أهل السنة والإجماع، دار ابن الجوزي، الطبعة الخامسة 1427هـ، ج: 1.

- محمد بن أحمد الصّالح، الطفل في الشريعة الإسلامية، (ب، ن، مطابع الفرزدق التجارية، ب ت).
- مجموعة باحثين، المؤتمر الدّولي حول الطّفولة في الإسلام، القاهر، جامعة الأزهر 1990م.
- نبيه غبرة، العربي، مجلّة شهريّة قافيّة مصوّرة، تصدرها وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد 414.
- ناهد عبد الوهاب محمد صديق، حقوق الطّفل في الإسلامي من المنظر النفسي الاجتماعي، المكتبة الأكاديميّة، 2010م، مصر.
- صالح عبد الرزاق الخرسان، تربية الطّفل وإشراقاتها التكاملية (مقال منشور).
- عبد الباري محمد داود، الصحة النفسية للطفل، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2004م.
- عز الدين، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، توفيق محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 1407هـ-1982م.
- عبد القادر الشيخلي، حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية والنظام السعودي والمواثيق الدولية.

- عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق، أثر الإيمان بالله في تحقيق الأمن النفسي، الألوكة، المواقع الشّخصية. موقع الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق 2016م، 1437هـ.
- عدنان حسن باحارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ص: 68، التربية على منهج أهل السنة والجماعة.
- عمر بن إدريس الرماش، مقال لماذا تراجع دور المسجد ومكانته في المجتمع، مجلة الفرقان، 2014م.
- عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام،الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، ج:.1
- عبد الغني عبّود، الفكر التربوي عند الإمام الغزالي كما يبدو من رسالته أيها الولد، القاهرة دار الفكر العربي.
- عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، (بيروت: دار السلام، ط 3، 1981م)، ج:1.
- عبد الرحمن النّحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، الطّبعة الثالّثة، 1425هـ، -2004م.
- فرغلي هارون، مقال المدرسة والصحة النفسية لأنبائنا، الألوكة الاجتماعية مجتمع وإصلاح، 1434هـ-2013م.

- فتحي حسن ملكاوي، بحوث المؤتمر التربوي، الجزء الثاني، مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة 1412هـ-1991م.
- رأفت عبد العزيز البوهي، د/إبراهيم جابر المصري، د/أحمد محمد ماجد، د/منى أحمد عبد الرحيم، أصول التربية المعاصرة، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

الفهرس

مقدمة	3
المدخل	7
الفصل الأول: عقيدة الإيمان والوجاء النّفسي	13
مراحل نمو الإنسان عند ابن الجوزي (جمال الدّين القرشي)	16
مراحل النمو بين علماء الإسلام وعلم النّفس	20
رأي ابن الجوزي في مرحلة ما قبل الولادة	22
الصّحة النّفسيّة ومؤشّراتها من وجهة نظر إسلامية. ودور الوالدين في ذلك	24
الفصل الثاني: عقيدة الإيمان والوجاء النّفسي	34
مناقشة خلق الإنسان والرد على نظرية داروين	34
أطوار خلق الإنسان دراسة وتحليل ومقارنة	37
الصحة النفسية للطفل	45
دفء العلاقة بين الأم والطّفل	48
الفصل الثالث: في الصّحة النفسية للطفل	51
مناقشة العوامل المحدّدة للشخصية	51
الفرق بين الغرائز والشّهوات	60
رعاية الإسلام للطفل منذ اللّحظة الأولى لميلاده	62

الحبّ هو الغذاء النفسي للطفل 65

حاجات الطفل ودوافع السّلوك 67

الفصل الرّابع: الأمن النّفسي للطّفل 77

إشباع الحاجات العقلانية للطفل 77

مسألة الآباء والإخلاص في تربيّة الأبناء 84

التربية المدرسية للطفل والنمو النفسي 86

المدرسة وأهميتها في الرّعاية النّفسيّة والاجتماعيّة للطّفل 89

الفصل الخامس: شموليّة التّربيّة والصّحة النّفسيّة 98

الأمن الاجتماعي للطّفل 98

الوجاء الخلقي للطفل وأثره في نفسيّة الطّفل 103

القرآن والنمو النّفسي للطفل 107

في نهاية المطاف بداية انطلاق للآفاق 111

نتائج القراءة 114

موجز عن الدراسة 114

بلوغ المؤلّف المقصد الأسمى الذي رامه من خلال هذه الرّحلة في الصّحة النّفسية للطّفل 118

الاعتراضات والانتقادات الموجهة للكتاب 129

خاتمة 131